Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Epidemics and the causes of their occurrence and spread in egypt and the levant during the period from the fifth to the tenth century ah -Historical study-

Riyadh Salem Awwad

Asst.Prof./ College of Arts / University of Kirkuk

Article information

Article history:
Received Sptember 6, 2022
Reviewer Sptember 29, 2022
Accepted Aprail 11, 2023
Available online December1 , 2023

Keywords:
Epidemics
Egypt
The Levant
Plague.

Correspondence:
Riyadh Salem Awwad
riadawad90@gmail.com

Abstract

Researching the history of epidemics and the causes of their occurrence and their spread, especially when we note the recurrence of these epidemics throughout the Islamic centuries, is sufficient to prepare the tools for the prevention of these epidemics in the present and the future, and to prevent their recurrence, Egypt and the Levant witnessed the outbreak of dozens of epidemics, specifically during the period of research, and after careful investigation between the folds of historical sources, it became clear that many health and climatic reasons that led to the occurrence and spread of these epidemics directly. In addition to the availability of other reasons that indirectly contributed to its occurrence, for example, the many bloody wars that took place on the lands of those lands, and the resulting deaths and famines that paved the way for epidemics to enter the cities of Egypt and the Levant

DOI: 10.33899/radab.2023.180990 , ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الاوبئة وأسباب وقوعها وانتشارها في مصر وبلاد الشام خلال المدّة من القرن الخامس حتى العاشر للهجرة ـ دراسة تاريخية ـ

رياض سالم عواد*

المستخلص :

إن البحث في تاريخ الأوبئة وأسباب وقوعها وانتشارها، ولا سيما عندما نلاحظ تكرار حدوث تلك الأوبئة على مرّ القرون الإسلامية، كفيل بتهيئة أدوات الوقاية من هذه الأوبئة في الوقت الحاضر والمستقبل، والحيلولة دون تكرار حدوثها، وقد شهدت مصر وبلاد الشام تفشّياً للعشرات من الأوبئة وتحديداً في المدّة مدار البحث، وبعد التقصّي الدقيق في المصادر التاريخية اتّضح اجتماع العديد من الأسباب الصحّية والمناخية التي أدّت إلى حدوث تلك الأوبئة وانتشارها بشكل مباشر، فضلاً عن توفر أسباب اخرى ساهمت في

* أستاذ مساعد / جامعة كركوك/ كلية الآداب

وقوعها بصورة غير مباشرة، ومنها على سبيل المثال كثرة الحروب الدامية التي دارت رحاها على أراضي تلك الديار، وما نتج عنها من القتلى والمجاعات التي مهّدت السبل أمام دخول الأوبئة لمدن مصر والشام على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الاوبئة، مصر، بلاد الشام، الطاعون.

المقدمة

إن البحث في تاريخ الأوبئة أضحى من الضروريات الواجب الأخذ بها من قبل الباحثين والمهتمين بهذا المجال، ولاسيما بعد وباء (كورونا) الذي اجتاح معظم البلدان على وجه الأرض، والذي خلّف وراءه آثاراً سلبية كبيرة على مختلف الأصعدة[1]، وهو ما دفعني بوصفي باحثاً في مجال التاريخ الإسلامي، إلى البحث والتقصّي عن تاريخ الأوبئة وأسباب وقوعها وانتشارها في العهد الإسلامي، كواجب ديني واخلاقي في سبيل خدمة الانسانية، وواجب علمي تجاه الحقل التاريخي ضمن مجال تخصصّي، لذا تمّ إختيار موضوع الدراسة ،و تكمن أهميتها في إطارها المكاني وهو مصر وبلاد الشام، هذان البلدان اللذان شكّلا وحدة سياسية، وادارية، واقتصادية إبّان حكم الدولة الفاطمية، والنورية، والأيوبية، والمملوكية لهما، الأمر الذي جعلهما في تواصل وترابط إجتماعي دائمين، وبالتالي فإن اختيارهما معاً ميداناً واحداً للدراسة يسهم في رسم صورة تاريخية أكثر وضوحاً، أمّا موضوعة البحث عن أسباب وقوع الأوبئة وانتشارها في هذين البلدين فإنها أيضاً ذات أهميّة بالغة بسبب عدد الأوبئة الكبير الذي شهدته تلك الديار آنذاك.

ولأجل تحقيق الأهداف المرجوّة من الدراسة وجب علينا وضع خطة ذات منهجيّة توصل الباحث، والقارىء، والمهتم إلى بلوغ تلك الأهداف، إذ انتظمت الدراسة في أربعة مباحث مسبوقة بمدخل عُرضت فيه الدلالات اللغوية والإصطلاحية لكلمة "وباء" لدى اللغويين، والنحويين، والمحدّثين، والفقهاء، والأطباء، والمؤرّخين، أمّا المبحث الأول فتم شطره إلى مطلبين تناول الأول عرضاً سريعاً للأوبئة التي اجتاحت مصر وبلاد الشام في القرون الإسلامية الأولى، أي في العهد النبوي، والراشدي، والأموي، وصولاً إلى العهد العباسي، واختص المطلب الثاني ببيان الأوبئة التي فشت في مصر والشام من القرن الخامس إلى القرن العاشر للهجرة، إذ تمّ جرد الأوبئة التي وقعت حسب سنوات كل قرن على حدة، مع الحرص على ذكر الشهر الهجري الذي وقع فيه الوباء لأجل معرفة مدّة بقائه في ذلك البلد، فضلاً عن هدف الوصول إلى مقارنة لأعداد الأوبئة لمعرفة أي القرون شهد وقوعاً للأوبئة بشكل أكثر، وكذلك مقارنة بأعدادها حسب كل بلد، وعُني المبحث الثاني من الدراسة بالبحث وراء الأسباب الصحّية لوقوع وانتشار الأوبئة في مصر وبلاد الشام، إذ سلّط الأضواء على أهم هذه الأسباب متمثلة بتلوّث الهواء، والمياه، والأطعمة، ووعُني ببيان مصادر تلوثها، و ناقش المبحث الثالث الأسباب المناخية التي أسهمت في حدوث الأوبئة وانتشارها وما يتعلق بالتقلّبات المناخية التي اتسمت بها أجواء البلدين، في حين تقصّى المبحث الرابع طبيعة مسار انتقال الأوبئة من اقليم أو بلد إلى آخر، أو من مدينة إلى أخرى وهكذا، ثمّ اختتمت الدراسة بالنتائج التي توصّلت إليها.

مدخل: الوباء لغة واصطلاحاً:

لغة: الوباء: محرّكة بالقصر والمد والهمزة، وجمعه أوبئة، وأوباء، ويقال أرض وبيئة على وزن فعيلة، وهي وبئة على وزن فعلة، وموبئة، وموبوءة، والاسم فيه البئة أي كثر مرضها، وموب مورث للوباء، وماء وبيء على وزن فعيل، ووبأ وأوبأ، وإيباء: أشار كوماً وأومأ، وإيماء[2]، والإيباء: الإشارة إلى الخلف، عندما يسير خلفك شخص، فتأمره بالتأخر عنك مشيراً إليه بأصابعك، أي أوبأت إليه، وعكسها الإيْمَاء فهي الاشارة إلى الأمام، وفي ذلك قال الفرزدق[3]:

"تَـــرَى النَّـــاسَ إنْ سِـــرْنَا يَسِـــيْرُونَ خَلْفَنَـــا" "وَإنْ نَحْـــنُ أوْبَأنَـــا إلَـــى النَّـــاسِ وَقّفُـــوا"

اصطلاحاً: الوباء عند أهل الطب، ومنهم علاء الدين علي بن ابي الحزم الدمشقي الشهير بابن النفيس (ت687هـ/1288م)[4]،

---

[1] أحمد، قحطان عدنان، تأثير جائحة كورونا على المستوى الدولي والإقليمي، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، كلية القانون، جامعة كركوك، مج 9، عدد خاص بالمؤتمر الافتراضي الاول، ج2، (2020): ص 1 - 10 .

(**2**) الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني (ت1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية (د.م : د.ت): 1/ 480.

(**3**) ابن أيدمر، محمد بن أيدمر المستعصمي (ت710 هـ/1310م)، الدر الفريد وبيت القصيد، تح:كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية (بيروت: 2015م): 5/ 331؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط3، دار صادر (بيروت: 1993م):1/ 189.

(**4**) علاء الدّين علي ابن أبي الحزم القرشي الدمشقي الشّافعي، أصله من بلدة قرش في بلاد ما وراء النهر، شيخ الطبّ بالدّيار المصرية، وصاحب التصانيف، انتهت إليه معرفة الطبّ، مع الذكاء المفرط، والمشار إليه في الفقه، والأصول، والحديث، والعربية، والمنطق، ألّف في الطب كتاب (الشّامل) وهو كتاب عظيم تدل فهرسته على أنه يكون ثلاثمائة مجلدة، بيّض منها ثمانين مجلدة، ومن كتبه أيضاً (الموجز) في الطب، و(بغية الطالبين وحجة المتطببين)، و(شرح الهداية لابن سينا) في المنطق، و(الهذب) في الكحل، و(شرح فصول أبقراط) في الطب، و(الرسالة الكاملية في السيرة النبويّة)، وغيرها، وقد وقف كتبه وأملاكه على البيمارستان المنصوري بالقاهرة، ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن

والحكيم داود بن عمر الأنطاكي الضرير (ت989هـ/1581م)[1] قالا فيه: انه فساد يصيب جوهر الهواء، وعلاماته النزلات، والحميّات، والأورام، والجدري، والحكّة، وغيرها، وأردفوا القول بأن الطاعون نوع من أنواعه، وأحد أفراده[2].

وأتفق مع رأيهم المحقّقون من الفقهاء بأن الوباء وخم يغيّر الهواء فيسببّ الامراض في الناس[3]، وأن كلّ طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وان الوباء شامل للأمراض العامة، والطاعون أحدها[4]، والأخير هو الضرب الذي يصيب الأنحس من الجن، وعلى هذا الرأي أتفق أهل الحديث[5]، بأن الطاعون وخز الجن استناداً إلى حديث الرسول محمد ﷺ بأنه: (("وخز أعدائكم من الجن"))[6]، وممّا ورد في ذكر الوباء في السنّة النبوية المطهّرة قوله ﷺ: ((غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء"))[7].

ويرى اللّغوي خليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م) بأن الوباء هو الطاعون، وهو أيضاً كلّ مرض عام[8]، في حين عرّف المؤرّخ ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) بأن الطاعون غير الوباء، فالأول هو الطعن الذي ورد في الحديث الشريف، والثاني الذي تتنوّع فيه الأمراض[9].

وممّا تقدّم من عرض بعض آراء الأطباء، والفقهاء، والمحدّثين، واللغويين، والمؤرخين، عن المعنى الإصطلاحي للوباء، نلاحظ اتفاقهم في تعريفه بأنه كلّ مرض يعم أو يتفشّى بين الناس، والطاعون أحد الأوبئة، وعليه فإن كل مرض يتفشّى صحّ نعته وباءً.

المبحث الأول: تاريخ الأوبئة في مصر وبلاد الشام:

أولاً: تاريخ الأوبئة في مصر وبلاد الشام خلال القرون الإسلامية الاولى:

إن تاريخ اجتياح الأوبئة لمصر وبلاد الشام لم يبدأ من القرن الخامس الهجري محور انطلاق الدراسة، وإنما شهدت هذه البلدان اجتياح الأوبئة لها في القرون الإسلامية الأولى، ففي بلاد الشام فإنّ كتب الحديث الشريف والتاريخ أوردت العديد من الشواهد على شهرة هذه البلاد بتفشي الأوبئة فيها، منها ما جاء في قول الرسول محمد ﷺ: (("أتاني جبريل عليه السلام بالحمّى والطاعون، فأمسكت الحمّى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين"))[10]، وما يؤكد شهرة بلاد الشام بوقوع الاوبئة فيها عندما كان الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ يبعث بعثاً إلى الشام، يبايعهم على الطعن والطاعون[11].

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: (("لبيت بركبة أحبّ إليّ من عشرة أبيات بالشام"))[12]، أي أنه يفضّل السكن في بلدة ركبة الواقعة بين مكّة المكرّمة والطائف، وهي ذات مناخ صحراوي صحّي، على السكن في الشام لكون أرضه وبئة جالبة للأمراض، وأشارت المصادر التاريخية إلى وقوع أول وباء في الشام سنة (18هـ/638م) وهو طاعون عمواس في زمن الخليفة عمر، وهو ثاني طاعون في الإسلام، بعد أن وقع الأول في المدائن في العراق في العهد النبوي[13].

علي (ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م: 1992م): 8/ 305- 306؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، بيروت: 1986م): 7/ 701؛ الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الاعلام، ط15، دار العلم للملايين (د.م: 2002م): 4/ 271.

(1) أُختلف في سنة وفاته، قيل سنة (1008هـ/1599م)، أو سنة (1011هـ/1602م)، ولد في أنطاكية، كان عالماً بالطب والأدب، وقرأ المنطق والرياضيات وشيئا من الطبيعيات، ودرس اللغة اليونانية فأحكمها، أقام مدّة في بالقاهرة من تصانيفه (تذكرة أولي الألباب) في الطب والحكمة، و (تزيين الأسواق) في الأدب، وله (النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة) و (غاية المرام في تحرير المنطق والكلام) و (ألفية في الطب) و (كفاية المحتاج في علم العلاج) وغيرها، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات:10/ 610؛ الزركلي، الاعلام: 2/ 333.

(2) الزبيدي، تاج العروس:1/ 478.

(3) الزبيدي، تاج العروس:1/ 478.

(4) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1994م): 4/ 36.

(5) الزبيدي، تاج العروس:1/ 478.

(6) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، (د.م: 2001 م): 32/ 293.

(7) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ/874م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): 3/ 1596.

(8) أبو عبد الرحمن البصري (ت170هـ/786م)، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د .م: د.ت): 8/ 418.

(9) جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب (مصر: د.ت): 2/ 6.

(10) ابن حنبل، مسند أحمد: 34/ 366 .

(11) الكاندهلوي، محمد يوسف حياة الصحابة، تح: بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: 1999م): 1/ 307 .

(12) ابن أنس، مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ/795م) موطأ مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت: 1985م): 2/ 897؛ الباجي، سليمان بن خلف التجيبي القرطبي (ت474هـ/1081م)، المنتقى شرح الموطإ، مطبعة السعادة (مصر: 1913م): 7/ 200.

(13) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم, مؤسسة

وفي العصر الأموي أيام الخليفة عبد الملك بن مروان (ت86هـ/687م)[1] فشا مرض الطاعون بشكل كبير في بلاد الشام سنة (79هـ/697م)، وكذلك سنة (86هـ/704م)، وفي أيام الخليفة هشام بن عبد الملك (ت125هـ/742م)[2] انتشر ببلاد الشام طاعون شديد سنة (107هـ/725م)، ثمّ تلاه آخر سنة (115هـ/733)[3]، وفي عام (127هـ/744م) حلّ طاعون مميت في بلاد الشام عُرف بطاعون غراب[4].

وبسبب كثرة الطواعين التي انتشرت في بلاد الشام في زمن الدولة الأموية، كان الخلفاء الأمويون يخرجون إلى الصحراء فِراراً منها، ومنهم الخليفة هشام بن عبد الملك الذي بنى الرصافة[5] خارج المدينة عندما وقع الوباء في الشام، وكان يسكنها في فصل الصيف[6]، ويذكر المؤرّخ ابن تغري بردي أن الطاعون قد خفّ في بلاد الشام في عصر الدولة العباسية[7]، وهو ما سنتناوله في المطلب الآتي ابتدءاً من القرن الخامس حتى القرن العاشر للهجرة لمعرفة عدد الأوبئة التي اجتاحت بلاد الشام فضلاً عن مصر آنذاك.

أمّا تاريخ الأوبئة في مصر فإنّ أول وباء شهدته في العصر الإسلامي كان أيضاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك عندما أرسل إلى القائد عمرو بن العاص (ت43هـ/662م)[8] أمراً بأن يبعث الصحابي الزبير بن العوام (ت36هـ/656م)[9] على رأس قوة عسكرية لفتح مصر سنة (21ه/641م)، وفي أثناء توجّه هذه القوة نحو هدفها كان الطاعون متفشياً فيها آنذاك، فقيل للزبير أحذر أنّ بها الطاعون، فأجابهم: إنّما جئنا للطعن والطاعون[10]، أي خرجوا مجاهدين في سبيل الله تعالى يبغون الشهادة إذا ما طعنوا بسيوف الأعداء، أو أصابهم مرض الطاعون، إستناداً إلى دعاء الرسول الأعظم محمد ﷺ بذلك لأمته قائلاً: ((اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون))[11]، ثمّ ضربها الطاعون الثاني عام (66هـ/685م) في السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مروان (ت85هـ/703م)[12] لها في العصر الأموي، وإبّان السنة الخامسة من ولايته لها عام (70هـ/689م) فشا فيها الطاعون الثالث، وفي

الرسالة (دمشق، بيروت: 1976م): ص 138؛ ابن تغري بردي، النجوم:1/ 140؛ فاضل، نصير بهجت، الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية "دراسة في المصادر العربية والإسلامية"، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كركوك، مج 6، عدد 2 (2011): ص4.

(1) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، استعمله الخليفة معاوية بن ابي سفيان (ت60هـ/679م) على المدينة المنورة وهو ابن ست عشرة سنة، وبويع بعهد من أبيه في خلافة عبد الله بن الزبير (ت73هـ/691م)، وتولى الخلافة بعد موت ابيه سنة (65هـ/684م)، وفي أيامه حوّلت الدواوين إلى العربية، ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين، وكان على الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية، وعلى الدراهم كتابة بالفارسي، انتهت خلافته بوفاته سنة (86هـ/704م)، وهو خامس خلفاء الدولة الاموية، ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت: 1968م): 5/ 223؛ الكتبي، صلاح الدين، محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م) فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر (بيروت: 1974م): 2/ 402؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:1/ 352.

(2) ابو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، ولد سنة (72هـ/690م)، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة (105هـ/723م)، كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه، وبنى الرصافة، وهي غير رصافتي بغداد والبصرة، وكان يسكنها في الصيف، وتوفي فيها سنة (125هـ/742م)، فانتهت خلافته التي دامت تسع عشرة سنة وسبعة أشهر، وهو عاشر خلفاء الدولة الأموية، ينظر: الربعي، أبو سليمان محمد بن عبد الله (ت379هـ/989م)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة (الرياض: 1989م): 1/ 291؛ الكتبي، فوات: 4/ 238 .

(3) ابن تغري بردي، النجوم:1/ 199، 212، 261، 275.

(4) ابن تغري بردي، النجوم:1/ 304.

(5) تقع الى الغرب من الرقّة بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة، يتظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر (بيروت: 1995م): 3/ 47 .

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 47.

(7) النجوم:1/ 313.

(8) أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم السهمي القرشي الكناني، أول والٍ مسلم على مصر بعد فتحها سنة (20هـ/640م)، ينظر: ابن خياط، الطبقات، تح: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م: 1993م): ص 61؛ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت بعد 355هـ/965م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: محمد حسن محمد ، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية (بيروت: 2003م): ص 8.

(9) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الاسدي القرشي، قتل غدراً في معركة الجمل في البصرة، ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: 3/ 99؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:1/ 207.

(10) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال (بيروت: 1988م): ص 211؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزأُوغلي (ت654هـ/1265م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: فادي المغربي وآخرون، دار الرسالة العالمية (دمشق: 2013م): 6/ 221.

(11) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 1990م): 2/ 102 .

(12) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الاموي القرشي، تولّى مصر لأبيه استقلالاً سنة (65هـ/684م)، فدامت ولايته عليها عشرين سنة، وسكن حلوان، فبنى فيها الدور والمساجد، كان يقظاً عارفاً بسياسة البلاد، شجاعاً جواداً، انتهت ولايته بوفاته سنة (85هـ/703م)، وهو والد الخليفة عمر بن العزيز (ت101هـ/719م)، ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/820م)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد: د.ت): 6/ 8؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:1/ 348؛ الزركلي، الاعلام: 82/4 .

السنة العشرين من ولايته وهي سنة (85هـ/703م) حلّ بها الطاعون الرابع، وعندما تقلّد عبد الله بن عبد الملك بن مروان (ت100هـ/718م)[1] ولاية مصر سنة (86هـ/704م) انتشر فيها طاعون القينات، وذلك لأنه بدأ بالنساء، وفي عهد والي مصر ابي عون عبد الملك بن يزيد الجرجاني، توفي في حدود سنة (169هـ/785م)[2] إبّان العصر العباسي وقع الوباء بمصر سنة (133ه/750م)[3].

ثانياً: تاريخ الأوبئة في مصر وبلاد الشام منذ القرن الخامس حتى القرن العاشر للهجرة:

استمرت الأوبئة بالانتشار في مدن مصر وبلاد الشام خلال الحقبة مدار التقصّي، ولأجل معرفة أعداد هذه الأوبئة، وأنواعها، وتحديد مناطق انتشارها، ومقارنة نسب انتشارها بين قرن وآخر، أو بين مصر والشام، أو بين مدينة وأخرى، لابد لنا من عرض تاريخي سريع لأشهر الأوبئة التي وقعت في مصر وبلاد الشام، بحسب ما ذكرته المصادر التي عنت بتاريخ الأوبئة إبان تلك المدّة، ففي القرن الخامس الهجري وقع الوباء في الفسطاط سنة (446هـ/1054م)، ثمّ ضربها في العام التالي (447هـ/1055م)، وامتدّ منها إلى الشام[4]، وكذلك عمّ الوباء في مصر والشام سنة (448هـ/1056م)[5]، وأعقبه وباء عظيم آخر في مصر سنة (455هـ/1063م)، أي بعد بعد سبع سنوات من السابق، واستمر فيها إلى سنة (456هـ/1063)[6]، وفي سنة (459هـ/1066م) وقع وباء شديد في حلب، ثمّ عمّ الطاعون العظيم بلاد الشام سنة (470هـ/1077م)، وبعد ست سنوات أي في عام (476هـ/1083م) انتقل إلى مصر وأعمالها، فضلاً عن تفشي الوباء في حلب سنة (493هـ/1099م)[7]، وممّا تقدّم نلاحظ أن القرن الخامس الهجري شهد وقوع (10) أوبئة بواقع (5) في مصر، وأخرى مثلها في بلاد الشام.

أمّا في القرن السادس الهجري، فقد وقع الطاعون في مدينة دمشق سنة (543هـ/1148م)، ثمّ انتشرت فيها الحميّات في شهر ربيع الآخر سنة (549هـ/1154م)[8]، كما فشا الوباء في منطقة مخاضة الأحزان قرب بانياس في الشام سنة (575هـ/1179م)[9]، فضلاً عن تفشيه في مصر والقاهرة في العام ذاته[10]، وفي شهري شعبان ورمضان سنة (581هـ/1158م) انتشر الوباء في مصر، وبعد عشر سنوات عمّت الحميّات المحرقة، والأمراض الحادة في مصر، والقاهرة، والاسكندرية، وقوص[11]، ودامت لأربعة أشهر من

---

(1) ابو عمر عبد الله بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي، تولّى مصر عن أبيه سنة (86هـ/704م)، وهو ابن سبع وعشرين سنة، واستمر والياً عليها إلى عهد خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك (ت96هـ/714م)، وفي عهده كانت الدواوين بمصر تكتب بالقبطية، فأمر بتحويلها الى العربية فنسخت بها، وابتنى بمصر مسجداً عُرف باسمه، ثم حصل الغلاء إبّان حكمه فنقمت العامة عليه فعزله اخوه الوليد سنة (90هـ/708م)، ينظر: الكندي، كتاب الولاة: ص45؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت711هـ/1311م)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس، وآخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر (دمشق: 1984م): 13/ 22؛ الزركلي، الاعلام: 4/100 .

(2) مولى هناءة من الأزد وهو من أهل جرجان، شارك في نشر الدعوة العباسية في خراسان، وقاتل الأمويين في مصر ، ثّم تولى مصر في الولاية الولاية الاولى سنة (133هـ/750م)، في عهد الخليفة ابي العباس السفاح (ت136هـ/753م)، ثمّ عُزل عنها من قبل الأخير سنة (136ه/753م)، و استلم امرة جيوش العباسيين نحو افريقية، ثمّ تولّى مصر الولاية الثانية في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور (ت158هـ/774م) سنة (137هـ/754م)، ثمّ عزله عن ولايتها سنة (141هـ/758م)، وفي سنة (159هـ/775م) عُيّن والياً على خراسان، ينظر: الكندي، كتاب الولاة: ص 77، 336؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 1992م): 8/ 230؛ ابن تغري بردي، النجوم: 1/ 329 – 336 .

(3) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): 1/ 54؛ ابن تغري بردي، النجوم:1/173، 179، 185،183، 209، 212، 325.

(4) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا- دار مكتبة الحياة الحياة (بيروت: د.ت): ص 326، 563.

(5) ابن تغري بردي، النجوم:5/ 59.

(6) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ: 16/ 83؛ ابن تغري بردي، النجوم:5/ 74.

(7) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي (ت660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: (بيروت: 1996م): ص170، 245؛ ابن تغري بردي، النجوم:5/ 105، 116.

(8) ابن القلانسي، حمزة بن أسد التميمي (ت555هـ/1160م)، تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر (دمشق: 1983م): 1/ 508؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان:20/ 383.

(9) الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت597هـ/1200م)، البرق الشامي، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان (عمان: 1987م): 3/ 181؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت: 1997م):9/ 439.

(10) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني (ت845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): 1/ 181.

(11) قوص: مدينة كبيرة وتعد قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محطّ التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحرّ لقربها من البلاد الجنوبية، وبينها وبين قفط فرسخ وهي شرقي النيل، بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام أو أربعة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 413 .

صفر حتى آخر شهر جمادى الأولى من العام (592هـ/1195م)[1]، وعليه تبيّن أنه في القرن السادس الهجري حدثت (6) أوبئة (3) منها في بلاد الشام، و(3) في مصر.

أمّا في القرن السابع الهجري فقد ضرب الوباء مدينة القاهرة سنة (612هـ/1215م)، ثمّ اجتاح دمياط[2] سنة (615هـ/1218م)، وبعدها فشا بشكل كبير في مدينة بصرى الشام[3] سنة (616هـ/1219م)، وفي سنة (633هـ/1235م) حلّ بمصر وقراها طاعون عظيم، ثمّ فتكت الأوبئة وخاصة الطاعون بالشاميين لا سيما في دمشق وحلب سنة (656هـ/1258م)، وشاع الموت في القاهرة ومصر عام (695هـ/1295م) بسبب وقوع الوباء فيها[4]، وبهذا نلحظ أن المصادر التاريخية قد رصدت نحو (7) أوبئة انتشرت في القرن السابع الهجري، (4) منها وقعت في مصر، و(3) في بلاد الشام.

وإبّان القرن الثامن الهجري فشت الامراض المميتة في مصر سنة (705هـ/1305م)[5]، كما عمّت الأمراض الحادة في القاهرة سنة (709هـ/1309م)[6]، ثمّ انتشرت بشكل أوسع لتعم الديار المصرية سنة (720هـ/1320م)[7]، وتكررّت في عام (723هـ/1323م) فشملت بلاد الشام، ومصر والصعيد، كما كثرت أمراض الناس في مصر بالحميات سنة (727هـ/1326م)[8]، وفي سنة (739هـ/1338م) انتشرت الأمراض في مدينة دمشق[9]، وفي خريف سنة (748هـ/1347م) دخل الطاعون أرض مصر، فطال أمده إلى سنة (749هـ/1348م) ، ليكتسح جميع مدنها، وسمي بالوباء الاسود لكثرة من مات فيه من الناس، وكان وقعه شديداً طوال السنة، ثمّ انتقل إلى الشام ليدخلها عن طريق حلب في شهر جمادى الأولى، وقيل في شهر رجب من العام نفسه، ومنها تحوّل إلى سائر المدن الشامية، واستمر متفشيّاً حتى شهر محرم من العام (750هـ/1349م) [10]، وعُدّ هذا الوباء أشد الأوبئة التي سبق أن اجتاحت أراضي مصر والشام منذ بزوغ فجر الإسلام[11]، وما إن تنفس المصريون الصعداء من هذا البلاء، إلّا وتفشّت بينهم الأمراض المميتة بعد أربع سنوات، أي في العام (754هـ/1353م) في مدينتي الإسكندرية، والقاهرة، وجميع أنحاء الوجه البحري[12] أي المدن شمال مدينة مصر، قابعاً في هذه الديار لمدة شهرين[13]، وفي صفر سنة (760هـ/1358م) تفشّت الأمراض في صعيد مصر، وفي عام (761هـ/1359م) ابتدأ انتشارها في مصر منذ شهر شوال، لتتفاقم في شهر محرم من السنة (762هـ/1360م)، أي دام تفشيها لأكثر من أربعة أشهر[14].

وعند حلول شهر جمادى الأولى سنة (764هـ/1362م) تفشى الطاعون العام، والأمراض الحادة في مصر والقاهرة وفي نواحي الوجه البحري كافة، وبعد خمسة أشهر أي في شهر رمضان من العام ذاته انتقل الطاعون وغيره من الأوبئة إلى دمشق، وحلب، وغزة، وعامة المدن الشامية[15]، ثمّ تكرّر وقوع الطاعون بدمشق في شهر شوال سنة (765ه/1363م)[16]، وفي شهر ذي الحجة من العام (769هـ/1367م) اثقلت الأمراض الحادة والطاعون كاهل سكان القاهرة، ومصر، والوجه البحري لمدة أربعة أشهر، أي انها استمر إلى شهر ربيع الأول لسنة (770هـ/1368م)، ثمّ تناقلت الروايات حلول الوباء في بلاد الشام في شهر ذي القعدة من العام نفسه، وفي

---

(1) المقريزي، السلوك:1/204، 243 – 245.

(2) دمياط: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب، وهي ثغر من ثغور الإسلام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 472 .

(3) بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 441 .

(4) ابن العديم، زبدة الحلب:ص 464؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء: ص 730، 741؛ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت726 هـ/1325م)، ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة: 1992م): 1/ 175؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د.م: 2003م):14/ 677؛ المقريزي، السلوك:2/ 267؛ ابن تغري بردي، النجوم:6/ 293 .

(5) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر المعري (ت749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1996م): 2/ 261.

(6) المقريزي، السلوك:2/ 431؛ ابن تغري بردي، النجوم:8/ 243.

(7) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:2/ 261؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر: 1967م): 2/ 301.

(8) المقريزي، السلوك:3/ 74، 95.

(9) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد: 1972م): 2/ 70.

(10) عواد، رياض سالم، الاوبئة وآثارها الدينية والنفسية على المجتمع في مصر وبلاد الشام منذ القرن الخامس حتى القرن العاشر للهجرة دراسة تاريخية، مجلة ديالى للبحوث الانسانية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، مج 4، عدد 93، ج 4 (ايلول 2022): ص 4 .

(11) الذهبي، العبر:4/ 149؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:2/ 339 - 340؛ المقريزي، السلوك:4/78، 80، 82.

(12) الوجه البحري: المدن الواقعة شمال مدينة مصر، ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): 1/ 136.

(13) المقريزي، السلوك:4/ 186.

(14) المقريزي، السلوك:4/ 251، الملطي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهريّ (ت920هـ/1514م)، نيل الأمل في ذيل الدول، تح: عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت: 2002م): 1/ 312، 320، 323.

(15) المقريزي، السلوك:4/ 267؛ ابن تغري بردي، النجوم:11/ 17.

(16) الملطي، نيل الامل:1/ 362.

رمضان سنة (771هـ/1369م) نالت الأوبئة من أهل دمشق، كما نشبت الأمراض بين سكان القاهرة والوجه البحري لمصر في جمادى الاولى سنة (772هـ/1370م)[1].

وفي شهر صفر سنة (774هـ/1372م) وقع الطاعون في دمشق، واستمر لمدّة ستة أشهر، ثمّ حلّت الأمراض في القاهرة ومصر في شهر جمادى الاخرة من العام نفسه، لتدوم سبعة أشهر، أي حتى شهر ذي الحجة لتعم بعدها في الإسكندرية وبقيّة مدن الوجه البحري[2]، وفي رمضان سنة (775هـ/1373م) حلّ الطاعون بدمشق، واستمر لأكثر من خمسة أشهر، وقد ازدادت وطأته في شهر محرم من السنة (776هـ/1374م) لتقل حدّته بعد ذلك، كما انتشر الطاعون في الاسكندرية وسائر أنحاء الوجه البحري، في شهر ذي القعدة من العام (775هـ/1373م)[3]، وفي شهري شعبان ورمضان عام (776هـ/1374م) فشت الأوبئة القاتلة في مصر، فضلاً عن شيوع الطاعون في بيت المقدس في شهر شعبان من العام المذكور[4]، وفي شهر ذي الحجة سنة (777هـ/1375م) أصابت سكان القاهرة الحميات، ثمّ عادت إليهم في شهر جمادى الآخرة سنة (778هـ/1376م) ولكنها اتسعت بالانتشار نحو سكان مدينة مصر أيضاً، مستمرة فيهم إلى آخر شهر شعبان أي لمدة ثلاثة أشهر، وفي العام (779هـ/1377م) فتك الطاعون وغيره من الأوبئة بالمصريين آنذاك[5]، وتكرّر عليهم الطاعون في سنة (781هـ/1379م)، ثمّ حلّ الوباء في الاسكندرية لمدّة ثلاثة أشهر مبتدئاً في شهر شوال سنة (782هـ/1380م)، وفي سنة (783هـ/1381م) ضرب الجدري والطاعون مدينة القاهرة، ثمّ نتقل الطاعون إلى دمشق في شهر محرم سنة (784هـ/1382م)، ودام فيها أربعة أشهر[6].

وكان لمدينة حلب الوقع الأكبر بالطاعون الذي استباحها بعنف سنة (787هـ/1385م)، وتكرّر عليها سنة (789هـ/1387م)، وفي شهر ربيع الاول من العام (790هـ/1388م) فشا الطاعون والحمّيات الحادة بقوة في القاهرة ونواحيها، واستمرت لمدة أربعة أشهر[7]، كما عمّ الطاعون الديار المصرية سنة (791هـ/1388م)، فضلاً عن حلب سنة (795هـ/1392م)، ودمشق عام (799ه/1369مـ)[8]، فاتضح ممّا تقدّم أن مصر وبلاد الشام اجتاحها في القرن الثامن الهجري (44) وباءً، (28) منها في الديار المصرية، و(16) في الديار الشامية.

أمّا القرن التاسع الهجري ففي مطلعه أي سنة (800هـ/1397م) شهد شهر ربيع الأول تفشي الوباء في القاهرة وضواحيها، فضلاً عن انتشار الطاعون في دمشق في الاشهر الثلاثة رجب، وشعبان، ورمضان من العام المذكور[9]، كما عمّت الحميّات وأمراض البرد المميتة مصر والقاهرة لمدة أربعة أشهر تحديداً من شهر ربيع الاول إلى جمادى الاخرة سنة (802هـ/1399م)، وفي العام (806هـ/1403م) اجتمعت عدّة أمراض أولها السعال المميت، ثمّ الحميّات والأمراض الحادة، وتلاها الطاعون لتصيب جملة من المدن المصرية كمصر، والقاهرة، وقوص، وأسيوط[10]، إذ بدأ انتشارها في شهر جمادى الأولى، واستمرت حتى شهر ذي القعدة أي لمدة سبعة أشهر[11]، وفي شهر رمضان سنة (807هـ/1404م) فشت الحميّات في مصر والقاهرة، وطال أمدها إلى شهر محرم من السنة التالية (808هـ/1405م)، أي إنها مكثت فيهم لمدّة خمسة أشهر[12]، ثمّ تكرّرت الأمراض الحادة على أهل القاهرة ومصر في شهر جمادى الاولى من العام الأخير، كما لم تسلم مدن الوجه القبلي لمصر وهي بلاد الصعيد من الأوبئة، إذ طالها الطاعون الجارف في ناحيتي أسيوط، وبوتيج[13] في شهر ذي الحجة من العام ذاته (808هـ/1405م)[14].

(**1**) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:1/ 283، 284، 485، 3/ 54؛ المقريزي، السلوك: 4/ 319، 340،327؛ الملطي، نيل الامل:1/ 418، 2/ 2/ 15، 24.

(**2**) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، دار الفكر (د.م: 1986م): 14/ 301؛ المقريزي، السلوك:4/367، 374 - 378؛ الملطي، نيل الامل:2/ 42 .

(**3**) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هـ/1448م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي (مصر: 1969م): 1/ 76؛ الملطي، نيل الامل:2/66، 71.

(**4**) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:5/ 404؛ الملطي، نيل الامل:2/ 81 – 83.

(**5**) المقريزي، السلوك:5/ 5، 27؛ الملطي، نيل الامل: 2/108، 112.

(**6**) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:1/ 231؛ ابن تغري بردي، النجوم:11/ 202، 207؛ الملطي، نيل الامل:2/ 172، 189.

(**7**) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:1/ 302، 343، 354؛ ابن تغري بردي، النجوم:11/ 251.

(**8**) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:1/ 456؛ ابن تغري بردي، النجوم:11/ 382؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:8/ 616.

(**9**) ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت884هـ/1479م)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض: 1990م): 2/ 263، 430؛ الملطي، نيل الامل:2/ 388.

(10) أسيوط: مدينة غربي النيل من نواحي صعيد مصر، وهي مدينة جليلة كبيرة، كثيرة الخير والفوائد، منها انها تشتهر بمناسج الأرمني والدبيقيّ المثلث، وقصب السكر، والسفرجل، وبها يعمل الأفيون، ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي (د.م: 1992م): 2/ 617؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 193 .

(**11**) المقريزي، السلوك:6/ 106- 107؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:2/ 260؛ الملطي، نيل الامل:3/ 100- 104.

(**12**) المقريزي، السلوك:6/ 124؛ الملطي، نيل الامل:3/ 120، 123.

(13) بوتيج: بليدة بالصعيد الأدنى من غربي النيل، وهي عامرة نزهة ذات نخل كثير وشجر وفير، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 506 .

(**14**) المقريزي، السلوك:6/ 146، 160؛ الملطي، نيل الامل:3/ 136.

وفي رمضان سنة (809هـ/1406م) فشا الطاعون القاتل بين سكان القاهرة، ومصر، ومنوف العليا[1]، وأمتد وقعه إلى نهاية السنة قابعاً فيهم مدة أربعة أشهر[2]، وفي شهر محرم سنة (813هـ/1410م) اخترق الطاعون بلاد الشام ليحصد أرواح الكثيرين من أهل فلسطين، وعجلون[3]، وحماه[4]، ونابلس[5]، وحوران[6]، وطرابلس[7]، ليتحوّل بعدها في شهر شوال من العام نفسه إلى مدينة دمشق وضواحيها، فنالها الموت المرجف ما نالها منه، بعد أن حطّ بها إلى أواخر شهر صفر من العام (814هـ/1411م)، ليتضح لنا أنّ هذا الطاعون قد استمرّ فشوّه في بلاد الشام لمدة اربعة عشر شهراً، ولم تكن الديار المصرية بمنأى عن هذا الطاعون إذ اجتاحها أيضاً في العام نفسه أي (813هـ/1410م)[8]، وفي شهر ذي الحجة من العام (815هـ/1412م) فشا الطاعون القاتل وأمراض الحمى في مصر والقاهرة لمدة ثلاثة أشهر، أي إلى شهر صفر من السنة التالية (816ه/1413م)[9].

وفي شهر رجب سنة (816هـ/1413م) ثارت بالناس عدّة أوبئة كالحميّات، والسعال، والنزلات، في مصر ودمشق، فضلاً عن دخول الطاعون أرض حلب، وحماه في الشهر والعام ذاته[10]، كما تفشى الطاعون مرة أخرى في حلب قبل شهر رجب سنة (817هـ/1414م)، وفي شهري ذي القعدة وذي الحجة من العام نفسه اجتاح الوباء مدينة البهنسا[11] في الوجه القبلي[12] لمصر، ثمّ ظهر الطاعون في القاهرة ومصر في شهر محرم من السنة (818هـ/1415م)، واستمر قرابة أربعة أشهر، ليرتفع في شهر ربيع الآخر[13]، وعندما هلّ شهر محرم سنة (819هـ/1416م) تكرّر اجتياح وباء الطاعون لمصر، وشاع بها في الوجهين البحري والقبلي، فزهق الكثير من أرواح أهل القاهرة، ومصر، ودمياط، والاسكندرية، وأراضي الصعيد ولاسيما مدينة هو[14]، ودام عهده هناك نحو أربعة أشهر أيضاً، وما إن استبشر المصريون ببداية نهايته في شهر ربيع الأخر، إلاّ وعصفت الأحزان والأراجيف بأهل الشام منذ شهر ربيع الأول، وأفسدت روائح الموت بالطاعون نسائم جنان دمشق، وطرابلس، وصفد[15]، والقدس[16].

وفي شهري ربيع الأول والآخر سنة (820هـ/1417م) هجم الطاعون مرة أخرى على أهل القاهرة، والإسكندرية، ودمياط[17]، وفي شهر صفر من العام (822هـ/1419م) عاد الطاعون المميت على جميع أنحاء الوجه البحري مبتدئاً بالقاهرة ومصر، كما ضرب

---

(1) منوف العليا: إحدى كور مصر في الوجه البحري، لها إقليم معمور، وبها غلات وخير كثير، ينظر: ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني الهمداني (ت 365هـ/975م)، البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب (بيروت: 1996م): ص 127؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحسني (ت560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت: 1988م): 1/ 340؛ المقريزي، خطط: 1/ 137.

(**2**) المقريزي، السلوك:6/ 181- 182؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:2/ 360.

(3) عجلون: بفتح العين المهملة، وهي من مدن بلاد الشام، تقع شمال غرب الاردن، صفتها مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، ويشقها نهر ماؤه عذب، وبها القلعة، ينظر: ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية (الرباط: 1996م): 1/ 256 .

(4) حماه: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، نزهة واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم، وهى على جانب نهر العاصي، بها جامع ومدارس وسوق، وسوق، وبها قلعة عظيمة حصينة لها خندق، وهى مدينة قديمة جاهلية، إلا أنها لم تكن من العظمة كما هى اليوم، وإنما كانت من عمل حمص، وبينهما يوم، وبينها وبين شيزر نصف يوم، ينظر: ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي (739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل (بيروت: 1991م): 1/ 423 – 424 .

(5) نَابُلُسُ: وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، بينها وبين بيت بيت المقدس عشرة فراسخ، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس، وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم، عليه السلام، سجد فيه، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه وعندهم أن الذبيح إسحاق، عليه السلام، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون واسمه كزيرم، وهو مذكور في التوراة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 248.

(6) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، قصبتها بصرى، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: البلدان: 2/ 317؛ ابن عبد الحق، مراصد: 435/1 .

(7) طَرَابُلُسُ الشام: بلدة على شاطئ البحر المتوسط، وهي إحدى قواعد الشام، تخترقها الأنهار، وتحفّها البساتين والأشجار، ولها الأسواق العجيبة، والمسارح الخصيبة والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء، ينظر: ابن عبد الحق، مراصد: 2/ 882؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة: 1/ 265 .

(**8**) المقريزي، السلوك:6/258، 279؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:2/ 463، 482؛ ابن تغري بردي، النجوم:13/ 178؛ الملطي، نيل الامل:3/ 180.

(**9**) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 8؛ الملطي، نيل الامل:3/ 248.

(**10**) المقريزي، السلوك:6/ 354؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 14.

(11) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف إليها كورة كبيرة، وليست على ضفة النيل، وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخل، وبظاهرها مشهد يزار، تضم مائة وعشرين قرية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 517 – 518 ؛ المقريزي، خطط: 1/ 137.

(12) الوجه القبلي: المدن الواقعة جنوب مدينة مصر، ينظر: المقريزي، خطط: 1/ 136.

(**13**) المقريزي، السلوك:6/ 383؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 45، 53؛ الملطي، نيل الامل:3/ 276، 281، 283، 285.

(14) هو: بليدة على تلّ بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص يضاف إليها كورة، تضم عشرين قرية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 420؛ المقريزي، خطط: 1/ 137.

(15) صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 412.

(**16**) المقريزي، السلوك:6/403، 409، 411، 412، 414، 418، 431؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 87؛ ابن تغري بردي، النجوم:14/ 43؛ الملطي، نيل الامل:3/ 304.

(**17**) المقريزي، السلوك:6/ 431، 434.

قرى إقليمي الشرقية والغربية، وقد أمتدّ مكوثه في هذه النواحي من شهر صفر إلى جمادى الأولى، أي قرابة أربعة أشهر، وفي شهر ذي القعدة نهاية العام المذكور فشت الحميّات هذه المرّة في أرض مصر[1]، وفي الأشهر ربيع الأول، ورجب، وشعبان سنة (823هـ/1420م) تفشى الطاعون في الاسكندرية والفسطاط، والقاهرة، ثمّ أثقلت الأمراض على أهل القاهرة أيضاً في شهر ذي الحجة من العام (824هـ/1421م)، وفي شهر جمادى الاولى لسنة (825هـ/1421م) كان الطاعون متفشياً في حلب، وحمص[2]، وحماه، فضلاً فضلاً عن انتشار الأمراض في خريف هذه السنة في القاهرة والوجه البحري بمصر[3].

وفي محرم سنة (826هـ/1422م) نزلت الحميّات بأرض القاهرة، وفي الأشهر جمادى الآخرة، ورجب، وشعبان عمّ الطاعون مدن الشام وهي دمشق، وغزة، و خفّ في الشهر الأخير، ليتحول – أي في شهر شعبان - إلى مدينة دمياط بمصر[4]، وفي شعبان سنة (827هـ/1423م) فشا وباء مميت بدمياط أيضاً، وفي شهر جمادى الأولى من العام (828هـ/1424م) عمّ الوباء بدمياط وفارسكور[5]، وقد زادت حدّته في شهر رجب، كما وقع الطاعون القاتل في حلب سنة (829هـ/1425م)، وفي ربيع الأول من العام (830هـ/1426م) تفشت الأمراض كالنزلات، والسعال، والجدري في مصر، فضلاً عن وقوع الوباء في صفد[6]، وفي ربيع الآخر سنة (831هـ/1427م) عمّت الأمراض في بلاد الشام، كما انتشرت في شهر رجب من العام المذكور في مدن بلاد الصعيد بمصر، حيث فشا الموت في مدينة هو، وأخميم[7]وما حولها، وبوتيج[8].

وفي شعبان سنة (832هـ/1428م) وقع الطاعون في غزة، والقدس، والرملة[9]، وصفد، ودمشق، ثمّ انتشر في بقيّة المدن الشامية الشامية كحمص، وحلب، وحماه، واستمر مكوثه إلى شهر ربيع الآخر من العام التالي (833هـ/1429م)، أي دام هذا الطاعون في بلاد الشام نحو ثمانية أشهر، ليتحول بعدها في هذا الشهر – أي ربيع الآخر - إلى مصر[10]، و اكتسح مدن وجهيها البحري والقبلي، منها القاهرة، ومصر، والإسكندرية، والمنوفية[11]، والمحلة[12]، ودمنهور[13]، وفوه[14]، وبلبيس[15]، وتذكر المصادر التاريخية أنه دام في مصر إلى شهر جمادى الآخرة[16]، وبسبب الآثار الكارثية التي خلفها هذا الطاعون في بلاد الشام ومصر سُمّي بأسماءٍ تدل على وقعه الكبير آنذاك كالفصل الكبير، ونُعتت سنته بسنة الفناء[17].

وفي العام (840هـ/1436م) ضرب الطاعون حلب، واستمر فيها إلى سنة (841هـ/1437م)، يختفي تارة، ويظهر تارة

(**1**) المقريزي، السلوك:6/ 491، 495، 499، 510؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 198- 199؛ ابن تغري بردي، النجوم:14/ 80؛ الملطي، الملطي، نيل الامل:4/ 33 – 34.

(2) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 302 .

(**3**) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 226، 277، 284؛ الملطي، نيل الامل:4/ 59، 102، 111.

(**4**) المقريزي، السلوك:7/ 78؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 304؛ الملطي، نيل الامل:4/ 124، 132، 134 - 135، 143.

(5) فارسكور و فارَسكُرْ:: وهي مدينة على ساحل النيل، قرب دمياط من كورة الدقهلية، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 228؛ ابن بطوطة، رحلة: رحلة: 1/ 24.

(**6**) الملطي، نيل الامل:4/ 158، 210،175 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:9/ 245.

(7) أخميم: مدينة مسوّرة في الضفة الشرقية من النيل في بلاد الصعيد، فيها أسواق وحمامات، وهي كثيرة المساجد، منها مسجد جامع جليل، وفيها ابنية عجائب كثيرة قديمة، منها البرابي وغيرها، والبرابي بناء مسقف فيه تماثيل وصور، ينظر: البكري، المسالك والممالك: 2/ 617؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 124.

(**8**) المقريزي، السلوك:7/ 177؛ الملطي، نيل الامل:4/ 230، 238.

(9) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلاً، وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطاً للمسلمين، يذكر انها تضم أربعة آلاف قرية، ينظر: البكري، المسالك والممالك: 1/ 464؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 69؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: 2/ 633.

(**10**) المقريزي، السلوك:7/ 192، 204؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 435؛ الملطي، نيل الامل:4/ 263.

(11) المنوفية: أو منوف من مدن الوجه البحري لمصر، وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة الغلّات والخيرات والكتّان وبها وال عليها وبها حاكم وحمّامات وجامع وأسواق كثيرة حسنة، تضم مائة واربع قرى، ينظر: ابن حوقل، ابو القاسم، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت بعد 367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، (بيروت: 1938م): 141/1؛ المقريزي، خطط: 1/ 137.

(12) المحلة: وهي مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارات قائمة وخيرات شاملة وبما يقرب من المحلة على خمسة وأربعين ميلا في البرية مدينة صنهور وإليها تصل ترعة بلقينة ويقابلها في جهة الشرق مدينة سندفة وبينهما نحو ميل، ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق: 1/ 340؛ ابو بطوطة، رحلة: 1/ 196.

(13) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة في الصغر والكبر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 472.

(14) فوه: بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة، وهي ذات أسواق ونخل كثير، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 280؛ ابن بطوطة، رحلة: 1/ 193.

(15) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، وسميت في التوراة أرض حاشان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 479؛ المقريزي، خطط: 1/ 339.

(**16**) المقريزي، السلوك:7/ 203 - 213؛ ابن تغري بردي، النجوم:14/ 338؛ الملطي، نيل الامل:4/ 267.

(**17**) ابن تغري بردي، النجوم:10/ 211؛ الملطي، نيل الامل:4/ 267.

أخرى[1]، وفي شهر جمادى الأولى سنة (841هـ/1437م) فتك الطاعون بأهل حماه، إذ لم يعهدوا بمثله سابقاً، كما نال من أهل حمص وحلب، وبعدها انتقل في شعبان إلى دمشق، ثم عمّ سائر المدن الشامية منها طرابلس، وغزة وغيرها، وفي شهر رمضان ظهر في الديار المصرية مبتدئاً بالقاهرة[2]، ويشير زين الدين الملطي الى أن الطاعون كان موجوداً في الوجه القبلي أي جنوب مصر (الصعيد) منذ شهر رجب، أي أنه ظهر في جنوب مصر قبل شمالها بشهرين[3]، وقد عمّ بعد ذلك سائر بلاد مصر، قابعاً فيها إلى شهر ذي القعدة، القعدة، ثم بدأ بالزوال بعد خمسة أشهر من تفشيه هناك[4].

وفي ربيع الآخر سنة (842هـ/1438م) فشت الحميّات في مصر، وفي شهر رمضان من العام المذكور دخل الطاعون مدينة القاهرة، ثمّ انتشر في قرى مصر البحرية، والإسكندرية، وتروجة[5]، ومنوف العليا، والمحلة، مستمراً إلى شهر ذي القعدة، أي دام قرابة ثلاثة أشهر[6]، وفي شهر ذي الحجة من العام (847هـ/1443م) وقع الطاعون في مصر، وزادت حدّته في شهر محرم من العام التالي (848هـ/1444م) لينتقل إلى القاهرة، وبقي متفشياً هناك نحو أربعة أشهر، وبعدها ارتفع نهائياً في شهر ربيع الأول من العام الأخير[7]، وفي شهر محرم سنة (852هـ/1448م) كان الطاعون متفشيّاً في دمشق، وفي شهر ذي الحجة من العام المذكور ظهر الطاعون هذه المرة في القاهرة، وتعاظم أثره في شهر صفر من السنة التالية (853هـ/1449م)، وأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً في أواخر شهر ربيع الاول، بعد أن أزهق الكثير من أرواح القاهريين لمدة أربعة أشهر[8].

وفي رجب سنة (854هـ/1450م) انتشرت الأمراض الحادة المميتة في القاهرة، ثمّ تكرّرت الأمراض ذاتها في المدينة المذكورة في شهري صفر، وربيع الأول من العام التالي (855هـ/1451م)، ثمّ عادت إليهم الأمراض في محرم من السنة (856هـ/1452م)[9]، كما ضرب الطاعون سكان القاهرة في محرم، وربيع الأول سنة (859هـ/1454م)، وفي شوال سنة (861هـ/1456م) كان الوباء منتشراً في الرملة[10]، ثمّ تفشّت الأمراض الحادة في مصر في شهر ربيع الأول سنة (862هـ/1457م)، فضلاً عن اجتياح الطاعون الجارف لحلب في شهر جمادى الآخرة سنة (863هـ/1458م)، وخفّ عنها في شهر رمضان بعد أربعة أشهر من استباحته لها، وفي محرم العام (864هـ/1459م) أباد الطاعون كثيراً من أهل مدينة غزة، ثمّ انتقل إلى القدس، وبقية نواحي الشام[11]، وفي شهر ربيع الآخر ظهر الطاعون في ضواحي القاهرة وهي بلبيس وخانقاه سرياقوس[12] والمحلة، ومنها تحوّل إلى مركز القاهرة، ثمّ مدينة مصر، وإقليمي الشرقية والغربية من الوجه البحري، وبعد مكوثٍ منه دام قرابة أربعة أشهر صار يخفّ بشكل كبير في شهر رجب من العام المذكور[13].

وفي محرم سنة (873هـ/1468م)، ظهر الطاعون في الإسكندرية، ثمّ انتقل بعد ستة أشهر أي في شهر جمادى الآخرة إلى البحيرة غربي البلاد، وفي شهر رجب ظهر في مصر والقاهرة، وقد استمر فشو هذا الطاعون في الديار المصرية قرابة عشرة أشهر إذ حلّت نهايته في شهر شوال[14]، وفي شهر ربيع الاول سنة (881هـ/1476م) تفشى الطاعون في دمياط وفارسكور، ثمّ انتقل إلى مصر والمحلة في رمضان، وبعدها إلى القاهرة وضواحيها، وفي شهر ذي الحجة تحوّل الطاعون إلى الوجه القبلي من مصر، وقد استمر طاعون هذه السنة قابعاً في بلاد مصر نحو أحد عشر شهراً، ثم زال نهائياً في العشرين من شهر محرم من السنة التالية (882هـ/1477م)، وفي شهر ذي الحجة من العام (881هـ/1476م) المذكور آنفاً دخل الطاعون أيضاً إلى بلاد الشام وتحديداً بيت المقدس[15].

وفي شهر ربيع الأول سنة (888هـ/1483م) فشت الأمراض الحادة في مصر، فأودت بحياة البعض من الناس، إذ لم يكن هذا

---

(1) أبو ذر، موفق الدين أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي (ت884هـ/1479م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم (حلب: 1996م): 1/ 172.

(2) ابن تغري بردي، النجوم:15/ 92؛ الملطي، نيل الامل:5/ 16، 17، 26؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:9/ 346.

(3) نيل الامل:5/ 19.

(4) المقريزي، السلوك:7/ 358- 359؛ الملطي، نيل الامل:5/ 23، 36، 42.

(5) تروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية، أكثر ما يزرع بها الكمون، وقيل اسمها ترنجة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 27.

(6) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:4/ 116؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت: د.ت): 2/ 170؛ الملطي، نيل:5/ 60، 80.

(7) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:4/ 225؛ الملطي، نيل الامل:5/ 183 – 184.

(8) السخاوي، الضوء اللامع:10/ 114؛ الملطي، نيل الامل:5/ 277، 286.

(9) ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تح: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (د.م: 1990م): 2/ 324، 357؛ الملطي، الملطي، نيل الامل:5/ 317، 352.

(10) ابن تغري بردي، النجوم:16/ 110؛ الملطي، نيل الامل:5/ 434، 6/ 22.

(11) ابن تغري بردي، النجوم:16/ 133، 135؛ الملطي، نيل الامل:6/ 34، 57؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات: 9/ 446.

(12) خانقاه سرياقوس: سرياقوس: بليدة شمالي القاهرة بمصر، بني فيها خانقاه – دار عبادة- عرف باسمها، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 218؛ المقريزي، خطط: 4/ 293.

(13) ابن تغري بردي، النجوم:16/ 136 - 139؛ الملطي، نيل الامل: 6/ 75، 82.

(14) الملطي، نيل الامل:6/ 340، 343، 357، 361، 363، 364، 365، 369، 370.

(15) الملطي، نيل الامل:7/ 158، 167، 169، 170، 173، 177، 178، 185.

الوباء ذا أثر كبير فأطلق عليه اسم (الفصل الصغير)، مقارنة له بالأثر الشديد لوباء سنة (832هـ/1428م) الذي دام إلى سنة (833ه/1429م) المعروف باسم (الفصل الكبير) كما أسلفنا[1]، وفي صفر سنة (891هـ/1486م) وقع وباء مفجع في مصر، كما انتشرت الأمراض في القاهرة في شهر ربيع الأول من العام (892هـ/1486م)، وكذلك تفشّت الأمراض الحادة المميتة في المدينة ذاتها من شهر صفر إلى شهر ربيع الآخر سنة (893هـ/1487م)، وفي شوال العام (895هـ/1489م) حلّ وباء قاتل في مصر أيضاً[2]، وفي أوائل سنة (897هـ/1491م) فشا الطاعون في حلب، ثمّ تحوّل إلى الديار المصرية ليضرب مصر والقاهرة في شهري جمادى الاولى والآخرة، وزال عنهما في شهر شعبان لينتقل بعدها إلى الجنوب حيث الصعيد، وفي صفر سنة (898هـ/1492م) عاد الطاعون مرّة أخرى إلى القاهرة بوقع أخف من سابقه[3]، فيظهر ممّا سبق أن مصر وبلاد الشام شهدتا في القرن التاسع الهجري نحو (70) وباءً، بواقع (49) وباءً في مصر، و(21) وباءً في بلاد الشام.

أمّا في القرن العاشر فإن بعض المصادر التاريخية قد ذكرت وقوعها، منها وباء الطاعون الذي كان متفشياً في دمشق في شهر جمادى الآخرة سنة (902هـ/1496م)، وكذلك عمّ الطاعون في القاهرة في شهر رمضان سنة (903هـ/1497م)، فضلاً عن انتشاره بدمشق في شهر ذي الحجة سنة (904هـ/1498م)، وكذلك في ربيع الأول من العام (909هـ/1503م)[4]، وفي رمضان سنة (910هـ/1504م) وقع الطاعون في القاهرة، كما وقع في دمشق في رجب من العام (930هـ/1523م)، وكذلك في حلب في السنوات (939هـ/1532م)، و(962هـ/1554م)، و(971ه/1563م)[5]، ويتضح أن مصر والشام في هذا القرن قد وقعت فيهما (9) أوبئة (7) منها في الشام، (2) في مصر.

وعليه تبيّن بعد التقصّي التاريخي في المدّة من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري أن مصر وبلاد الشام قد ضربها قرابة (146) وباءً، والحصّة الأكبر منها كانت من نصيب مصر ومدنها بواقع (91) وباءً، وشهدت بلاد الشام (55) وباءً.

المبحث الثاني: الأسباب الصحّية لوقوع وانتشار الأوبئة في مصر وبلاد الشام:

لا شك عندما يلاحظ المهتم بدراسة تاريخ الأوبئة في مصر وبلاد الشام، وقوع وانتشار هذا العدد الكبير من الأوبئة فيها إبّان المدّة مدار الدراسة، يتبادر الى ذهنه منذ الوهلة الأولى سؤال يعبّر عن دهشته واستغرابه من الأسباب التي وقفت وراء حدوث ذلك، وهو ما دفعنا إلى البحث في الظروف التي سبقت وقوع الأوبئة أو انتشارها سعياً منّا لاكتشاف أهم أسبابها، وكانت النتيجة أنه تمّ تشخيص جملة منها بحسب ما دعمتنا به الروايات التي تناولت تاريخ تلك الحقبة، إذ توزّعت بين أسباب صحيّة وأخرى مناخية، أمّا الأولى فكانت كالآتي:

01 تلوّث الهواء:

عزى بعض أطبّاء ذلك العصر أسباب وقوع الأوبئة إلى تلوّث الهواء، منهم الطبيب ابن النفيس الدمشقي (ت687هـ/1288م)، الذي بيّن أن الوباء أصله فساد لجوهر الهواء، وإن من أسباب تلوّث الهواء روائح الجيف ولاسيما الناتجة عن الحروب، وشاطره في رأيه الحكيم داود الأنطاكي (ت989هـ/1581م) مضيفاً أن من أسباب تلوّث الهواء انفتاح قبور ضحايا الوباء وصعود الأبخرة الفاسدة منها[6]، أي أن هناك سبباً مباشراً لوقوع الوباء وهو تلوّث الهواء، وأسباب أخرى غير مباشرة أسهمت في تلوّث الهواء المُحدث للوباء وهي الحروب العسكرية وما ينتج عنها من جيف قتلاها، فضلاً عن التعامل غير الصحّي في دفن الأموات، ومن الشواهد التاريخية على ذلك الطاعون الذي وقع في دمشق سنة (543هـ/1148م)، عندما هاجمها الصليبيون، فخرج لهم الدمشقيون ذائدين عن الدين والوطن، فحدثت بين الطرفين معركة عظيمة أنهزم فيها الافرنج، بعد أن قُتل منهم نحو عشرة آلاف مقاتل[7]، ولا شك أنّ العدد الكبير لموتى تلك المعركة والتي كما يبدو بقيت منتشرة في أطراف المدينة حتى جافت، فكانت روائحها سبباً في تلوّث الهواء الذي أدى إلى حدوث وباء الطاعون في دمشق آنذاك.

وفي سنة (575هـ/1179م) عندما تواجه السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي (ت589هـ/1193م) مع الصليبيين في

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم:10/ 211؛ الملطي، نيل الامل:4/ 267، 7/ 343.

(2) الملطي، نيل الامل:8/ 15، 64، 99، 107، 203.

(3) ابن اياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية (د.م: د.ت): 3/ 287، 287، 289، 292، 294.

(4) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي (ت953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية العلمية (بيروت: 1998م): ص 144؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ/1650م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): 1/ 18، 94، 150، 301.

(5) الغزي، الكواكب السائرة:1/ 26، 140، 248، 250، 251؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:526/10.

(6) الزبيدي، تاج العروس: 1/ 478.

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان:20/ 383؛ عواد، رياض سالم، الجوانب الحضارية لدمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (ت927هـ/1520م): رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، (العراق: 2013م): ص18.

معركة طاحنة عند منطقة مخاضة الأحزان قرب بانياس، وانتصر فيها عليهم، بعد أن قتل منهم الكثير[1]، وبقيت أشلائهم مطروحة في العراء حتى أنتنت، ممّا أدى إلى وقوع الوباء في تلك المناطق، لدرجة أنّ المرض قد أصاب جيش السلطان صلاح الدين وهو عائد إلى دمشق، وهذا ما بيّنه المؤرّخ عماد الدين الكاتب الأصبهاني (ت597هـ/1200م)، الذي كان مرافقاً لصلاح الدين الأيوبي في هذه المعركة معلّلاً سبب وقوع الوباء بالجيش وقتها قائلاً: (("وانتنت اشلاء القتلى ... وأقام السلطان في مخيمه والاموات قد جافت، والأحياء قد عافت، وقال لا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه ... واقام السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب والتعفية ... ورحلنا يوم الأربعاء آيبين بالنعماء راجعين بالغنائم والآلاء، وعند الوصول الى دمشق مرضنا من وبال ذلك الوباء ونتن ذلك الهواء"))[2]، وفي السنة ذاتها (575هـ/1179م) مات الآلاف من سكان مصر والقاهرة، وكانت تغيّر رائحة الهواء وتلوّثه أحد أسباب وفاة هذا العدد الكبير من السكان هناك[3]، وفي سنة (592هـ/1195م) عندما عمّت الأمراض المميتة بعض مدن مصر، وكثرت بسببها الجنائز، وعزّ وجود حفاري القبور، الأمر الذي أدى إلى بقاء جثث الموتى ملقاة دون دفن فعلت روائح نتنها، وإذا ما وَجَدَ أهل الضحيّة حفاراً كان الأخير لعجالته في عمله بسبب تزاحم الناس عليه لا يعمّق القبر، فيسبّب ذلك انبعاث رائحة تفسّخ جسد الميّت من القبر بعد أيام من دفنه، وفي الحالتين أدّى ذلك إلى تلوّث الهواء الباعث للأمراض في تلك المدن، ممّا زاد من انتشار الأوبئة آنذاك بشكل أوسع[4]، وفي سنة (615هـ/1218م) هاجم الافرنج دمياط، وحدثت بينهم وبين المسلمين بقيادة الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي (ت635هـ/1237م)[5] معارك طاحنة خلّفت الكثير من القتلى، ولكن هذه المعارك لم تحسم إذ اضطر الكامل إلى الانسحاب عن دمياط لوصول أخبار عن اجتماع الأمراء على تمليك أخيه الملك الفائز ابراهيم بن العادل (ت617هـ/1220م)[6] عوضاً عنه، فأتاح الفرصة أمام الصليبيين ليعودوا بهجوم قوي على دمياط، وفرضوا عليها حصاراً من البر والبحر، وقطعوا عن أهلها الغذاء فخلّف مجاعة قاتلة فيها، وبالتالي سقوطها، واستباحة ساكنيها من قبل الأعداء، وتشير المصادر الى أن الوباء قد انتشر بعد ذلك في دمياط، ويبدو أن كثرة الموت الذي حدث في دمياط بسبب المعارك التي دارت بين الافرنج والمسلمين، وبعدها الحصار والمجاعة ثم السقوط والاستباحة، ما أدى إلى زيادة عدد الأموات فانتشرت الجثث في الأرجاء فتلوّث الهواء بنتنها، فسبب وقوع الوباء[7]، أمّا وباء سنة (656هـ/1258م) الذي حصد الآلاف من أهل دمشق وحلب، فإن سببه الرئيس هو الهواء الملوّث القادم من أرض العراق[8]، فعندما استباح المغول بغداد أربعين يوماً بنوا فيها تلال القتلى، والتي سقطت عليها الأمطار فتغيّرت صورها، وزاد تفسخها ونتنها، فكان لذلك المنظر المفجع نتائج غير صحية وخيمة صوّرها ابن كثير قائلاً: (("والقتلى في الطرقات كأنها التلول ... وتغيّر الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغيّر الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون"))[9].

وفي سنوات الطاعون الذي عمّ مصر والشام منذ العام (748هـ/1347م) حتى العام (750هـ/1349م)، والذي اجتاح معظم أقاليم الأرض، كانت الريح النتنة بسبب جيف الموتى المنتشرة العامل الرئيس في انتقال هذا الوباء من بلد إلى آخر، ودرجة شدّة تأثيرها أنها إذا مرّت وشمّها الإنسان، ينهار مباشرة ثمّ يموت[10]، وكذلك الأمر في طاعون سنة (833هـ/1429م) في مصر وبلاد الشام، تشير الرواية أن أمراة مرّت بمصر قاصدة القاهرة، فأصابها الهواء الملوّث بنتن الضحايا فماتت مباشرة وهي راكبة على حمارها، وبقيت ملقاة في الطريق طوال اليوم حتى جافت[11].

وممّا سبق نستنتج أن بعض الأوبئة وقعت في مصر وبلاد الشام لسبب مباشر وهو تلوّث الهواء، أمّا السبب غير المباشر لوقوعها فهي الحروب التي خلّفت الجثث الملوّثة لذلك الهواء، في حين كانت أسباب انتشار هذه الأوبئة هي عدم دفن الجثث، أو دفنها بطريقة غير صحيّة فزاد ذلك نار الوباء اشتعالاً.

2. تلوّث المياه:

إن المياه الملوّثة واحدة من أهم الأسباب المحدثة للأوبئة، واتساع انتشارها، وقد تعدّدت مصادر تلوّث المياه في مصر وبلاد الشام

(**1**) ابن الاثير، الكامل: 9/ 439.
(**2**) البرق الشامي: 3/ 181.
(**3**) المقريزي، السلوك:1/ 181.
(**4**) المقريزي، السلوك:1/204، 243 – 245.
(**5**) ناصر الدّين أبو المعالي محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب، ولد سنة (576هـ/1180م)، وتملك الدّيار المصرية في حياة والده لمدّة عشرين سنة، وبعد أن توفي أبوه سنة (615هـ/1218م) استمر حكمه على مصر عشرين سنة اخرى، ثمّ وسّع سلطانه الى مدن حرّان وآمد والرها وسروج والرقة، وامتلك بعدها بلاد الشام، وكان حازماً عفيفاً عن الدماء، مهيباً، يباشر أمور الملك بنفسه، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام:14/ 185؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات:7/ 301؛ الزركلي، الأعلام: 7/ 28.
(**6**) الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: 13/ 492.
(**7**) ابن الاثير، الكامل:10/ 328؛ ابن العديم، زبدة الحلب:ص 464؛ ابن تغري بردي، النجوم:6/ 222.
(**8**) الذهبي، تاريخ الإسلام:14/ 677.
(**9**) البداية والنهاية:13/ 203.
(**10**) المقريزي، السلوك: 4/ 78، 80، 81 – 83.
(**11**) الملطي، نيل الامل:4/ 269 – 270.

آنذاك، منها إلقاء جثث ضحايا المجاعات والأوبئة في الأنهار، أو رمي النفايات في قنوات مياه الشرب، فكان ذلك سبباً في وقوع وانتشار الأوبئة في كلا البلدين، ففي سنة (695هـ/1295م) حدثت مجاعة مهلكة في القاهرة ومصر، خلّفت الآلاف من الموتى، وبسبب كثرة الأموات كان الناس يلقون بالجثث في نهر النيل ممّا تسبّب في تلوّثه ليصبح أحد أسباب وقوع الأوبئة وانتشارها في كلتا المدينتين[1]، وفي دمشق كانت الأوباء عادة ما تقع وتنتشر فيها، بسبب تلوّث مياه قنوات الشرب، ومنها على سبيل المثال ما حدث من انتشار للأمراض فيها سنة (739هـ/1338م)، فقد كانت طبيعة تصميم هذه القنوات تمر خلال الدور، واعتاد بعض الناس على رمي الأوساخ فيها، فسبّب ذلك انسدادها وتلوّثها بالأغذية العفنة، فأصبح هذا الأمر أحد اسباب وقوع الأوبئة وانتشارها بين الدمشقيين وقتذاك، وعند وقوع الطاعون العام في بلاد الشام سنة (841هـ/1437م) كان أهم أسباب انتشاره هو تلوّث المياه بالجثث الملقاة في مجرى نهر الفرات، وشاهد ذلك ما قام به بعض أهالي مدينة الرحبة عندما كثُرت فيهم جنائز موتى الطاعون، وعجزوا من مواراتها الثرى، فألقوا بعددٍ كبيرٍ منها في نهر الفرات، ممّا أدى إلى تلوّث مياهه فأسهمت ذلك في انتشار الوباء بشكل أوسع حينذاك[2].

وفي العام (859هـ/1454م) وتحديداً في شهر محرم تغيّر لون ماء النيل بشكل ملحوظ، وغلبت عليه الحمرة، حتى تعجّب أهل مصر من ذلك، ومرجّح أن ماءه قد أصابه تلوثّ ما وقتذاك، وما يؤكد ذلك وقوع وباء الطاعون في الشهر نفسه وبشكل مفاجيء استغرب له المصريون أيضاً كاستغرابهم لتغيّر لون ماء النيل[3]، وتكرّرت هذه الحالة في نهر النيل في العام (881هـ/1476م)، حيث تغيّر لونه وطعمه بشكل دفع الناس إلى الإمتناع عن شربه، وبالتأكيد هذا الأمر لا يمكن السيطرة عليه، والجزم بأن سكان مصر قد تخلّوا عن استخدام مياه نهر النيل في وقتها لكونه موردهم المائي الرئيس في مختلف مجالات حياتهم اليومية، فضلاً عن عدم وجود إمكانيات معالجة المياه بشكل تجعلها نقيّة صالحةً للشرب، وهو ما يرجّح إحتمالية أن تلوّث مياه نهر النيل في تلك السنة أحد أسباب وقوع وانتشار الأوبئة ومنها وباء الطاعون، الذي قبع في مصر في تلك السنة لمدة أحد عشر شهراً، وقد زُهقت الآلاف من أرواح الناس، وصارت الجثث ترمى من المراكب في نهر النيل حتى جافت سواحله، وذلك زاد من انتشار الطاعون بشكل أكبر، وأدى الى بقائه لمدّة أطول في مصر في ذلك الوقت[4]، وعليه يظهر لنا أن الماء الملوّث هو السبب المباشر لوقوع الوباء وانتشاره، وعوامل تلوث تلوث المياه هي أسباب غير مباشرة في حدوث الأوبئة، متمثلة برمي الجثث والنفايات في الأنهار ومياه الشرب.

3. الأغذية غير الصحّية:

أوردت المصادر التاريخية الكثير من الروايات التي تؤكّد إنتشار الأغذية غير الصحّية في مصر وبلاد الشام إبّان الحقبة المعنيّة بالدراسة، إذ تنوعّت بين لحوم المواشي، والطيور، والأسماك، فضلاً عن الحبوب، حيث أصابتها الأمراض ومنها الطاعون فجعل منها أطعمة ملوّثة تسبّب الأوبئة وتساعد على انتشارها، وربّما أقدم سكان مصر وبلاد الشام على تناولها دون علم منهم بأنها ملوّثة، أو أنهم كانوا يعلمون بعدم صلاحيتها للأكل لكنهم تناولوها مضطرّين بسبب الفاقة والعوز وقلّة الطعام، وهو ما حصل كثيراً في زمن المجاعات التي اجبرت الناس على أكل جيف الحيوانات والأنسان على حد سواء، فأدّى ذلك إلى وقوع الأوبئة وتفشّيها في مصر وبلاد الشام آنذاك، ومن شواهد انتشار الأغذية غير الصحّية ما كان في سنة (581هـ/1185م) عندما وقع الوباء في مصر، والذي أصاب الدجاج بشكل خاص، وفي سنتي (694هـ/1294م) و (695هـ/1295م) عمّ الغلاء في مصر وبلاد الشام، أعقبه مجاعة مهلكة أضطرّت بالمصريين خاصة الى أكل جيف المواشي، والكلاب، وبني آدم، لدرجة أنّ النساء أكلن أطفالهن، كما أقدم وقتها ضعاف الأنفس من الجزّارين على استغلال هذه الأزمة فباعوا لحوم الميتات والكلاب على أنها لحوم صالحة للطعام ممّا ساهم في تفشّي الوباء بشكل أوسع[5].

وفي شهر ذي القعدة من العام (770هـ/1368م) ظهرت موجة من الفئران في بلاد الشام أتلفت بيادر الغلال، وكانت سبباً في تفشّي الوباء فيها، ونعلم أن القوارض وخاصة الفئران هي أولى مسبّبات مرض الطاعون، وفي العام (808هـ/1405م) عندما عمّت الأوبئة في القاهرة ومصر، تزامن موت الأبقار وقتها لإصابتها بالأمراض، وفي سنة (818هـ/1415م) تكرّر انتشار الفئران في كثير من نواحي مصر، وأتلف فيها الغلال، وتزامن مع ذلك في هذه السنة انتشار الطاعون في مصر والقاهرة قرابة أربعة أشهر، ومرجّح أن يكون انتشار القوارض وقتها هو أحد أسباب وقوع وباء الطاعون[6]، كما شهدت منطقة اللجون في الأردن على طريق الشام سنة (828هـ/1424م) انتشار الفئران بشكل كبير يثير الغرابة، حيث عمدت على إتلاف الغلال وقتها وخاصة القمح وجعلت منه غذاء غير صالح للأكل، وفي العام (829هـ/1425م) نال الوباء من الجواميس في مصر وأدى إلى موت الكثير منها[7]، وتزامن مع وقوع الأوبئة

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام:14/ 677؛ المقريزي، السلوك:2/ 267.
(2) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:2/ 70؛ الملطي، نيل الامل:5/ 26.
(3) الملطي، نيل الامل:5/ 431.
(4) الملطي، نيل الامل:7/ 184،156- 185.
(5) المقريزي، السلوك: 1/ 204، 2/ 267؛ ابن تغري بردي، النجوم:8/ 57، 79.
(6) المقريزي، السلوك: 4/ 327، 146/6، 395؛ الملطي، نيل الامل:3/ 276، 281، 283، 285.
(7) الملطي، نيل الامل:185/4، 189.

المميتة في بلاد الصعيد بمصر سنة (831هـ/1427م) انتشار للفئران في تلك النواحي، التي عبثت بالغلال بشكل مضر آنذاك[1]، وفي أيّام الطاعون الجارف الذي اجتاح مصر والشام سنة (833هـ/1429م)، نفقت الكثير من الأسماك، ولوحظت طافية على مياه الأنهار والبرك، وتساقط الطير من السماء لإصابته بالوباء[2]، وفي طاعون سنة (841هـ/1437م) هلكت فيه الكثير من الأغنام والأبقار والأسماك في مصر، وتكرّر الأمر نفسه في وباء العام (881هـ/1476م) في مصر[3]، وبذلك يتّضح لنا أن الغذاء الملوّث هو السبب المباشر لوقوع الأبئة، وأن المجاعة، وانتشار القوارض هي أسباب غير مباشرة لحدوث الأوبئة، فأمّا المجاعة فقد أجبرت الناس على أكل الأطعمة غير الصحيّة، وأمّا القوارض فكانت من ملوّثات الأطعمة المورثة للأمراض.

4. عدوى المرض:

إنّ صفة انتشار المرض بين الناس تجعل منه وباءً عامّاً، وهذه الصفة مرتبطة إمّا بالبيئة المحيطة، أو بطبيعة ذلك المرض، فالبيئة المحيطة تمثّلها الأسباب الصحيّة المباشرة لوقوع وانتشار الأوبئة، والتي سبق أن بيّناها آنفاً وهي تلوّث الهواء والماء والغذاء، ولكن ثمّة وجود سبب صحيّ مباشر آخر يتعلّق بطبيعة الأمراض التي وقعت، وهو أن هذه الأمراض كانت بطبيعتها أمراضاً معديةً، وذلك يُعد أخطر الأسباب الصحيّة التي تُسرّع تفشّيها كسرعة انتشار النار في الهشيم، وبالمقابل لم يتعامل المصريون والشاميون بحذر مع هذه الأنواع من الأمراض، إذ عمدوا على الاختلاط وملامسة المرضى أو الضحايا، ولم يأبهوا لعدوى انتقال المرض إليهم، ومنها أنهم كانوا يغسلون موتى الطاعون، أو يصلّون عليهم بشكل جماعي في المساجد، ومن دون أدنى شك أدى ذلك إلى انتقال هذا المرض إلى البقيّة من الأحياء، وعلى سبيل المثال في طاعون سنة (749هـ/1384م) الذي طال مصر والشام على حد سواء لأكثر من سنة، كانوا يغسلون الموتى قبل دفنهم، إذ جاء في رواية أنّ امرأة دخلت على إحدى النساء المطعونات لكي تغسّلها، فلمّا جرّدتها من ثيابها وصارت تغسلها وتمر بيدها على مواضع دمّل الطاعون، ممّا تسبّب في انتقال المرض إليها ووفاتها مباشرة، حيث وجدوا بين أصابعها أثراً للدمّل قد ظهر عليها[4]، وفي طاعون العام (833هـ/1429م)، الذي عمّ مصر والشام، كانت المساجد مفتوحة تستقبل الجنائز لغرض الصلاة عليها، وقد بلغ عدد من صُلّي عليهم في يوم واحد بمصليات القاهرة (2246) جنازة[5]، ومن الطبيعي أن هذا العدد الكبير من الجنائز تحتاج لعددٍ مثله أو أكثر منه من الأشخاص لرفعها ونقلها من مكان إلى آخر، وبالتالي من الممكن أن نتصوّر الحجم الكارثي للاختلاط والملامسة للمطعونين في أثناء إجراءات التحميل والنقل والدفن، ممّا يسبّب انتقالاً للوباء إلى الكثير من الناس آنذاك، وهو ما أطال عمر الوباء لأكثر من سنة ما بين مصر وبلاد الشام.

المبحث الثالث: الأسباب المناخية لوقوع وانتشار الأوبئة في مصر وبلاد الشام:

يذكر الطبيب داود الأنطاكي أن من أسباب وقوع الأوبئة كالحمّى، والجدري، والحكّة، والأورام، والنزلات، هو تغيّر فصول الزمان[6]، في إشارة منه إلى التقلّبات المناخية في فصول السنة كالحر، والبرد، والرطوبة، والجفاف وآثارها المباشرة في وقوع وانتشار الأمراض، لذلك نلاحظ أنّ المؤرّخين الذين عنوا بتدوين أخبار الأوبئة آنذاك أهتمّوا بوصف طبيعة الأجواء المناخية التي وقعت فيها الأوبئة من حيث درجة الحرارة والبرودة، ونسبة الأمطار، والرطوبة والجفاف في فصول السنة، في إيحاءٍ منهم الى السبب المناخي لحدوث تلك الأوبئة، ففي سنة (723هـ/1323م) هبّت رياح حارّة ووقع الجفاف الحاد في كل من دمشق ومصر والقاهرة، انتشرت على أثرها في تلك المدن الأمراض والموت لمدّة شهر[7]، وفي العامين (769هـ/1367م) و(772هـ/1370م) وتحديداً في فصلي الخريف منهما فشت الأمراض التي أودت بحياة الكثير من الأهالي في القاهرة وبقيّة أنحاء الوجه البحري[8]، أي أنّ تكرّر وقوع الأمراض في فصل الخريف في هاتين السنتين يبدو له علاقة مباشرة بطبيعة مناخ فصل الخريف الذي يتميّز بتقلّب الطقس فيه، كونه يمثّل مرحلة التحوّل المناخي بين فصلي الصيف والشتاء.

ومن الجدير بالتوضيح أنّ أهل مصر كانوا يسمّون الرياح التي تهب من جهة الشمال أسفل النيل بالرياح البحرية، والرياح التي تهب من جهة الجنوب في أعالي النيل بالرياح المريسية نسبة لبلاد مريس في صعيد مصر، والتي تقع عند بداية اتصالها بأرض النوبة[9]، وعادة ما كان للرياح المريسية آثار غير صحيّة وخيمة على أهل مصر بيّنها الجغرافي ابن الفقيه قائلاً: (("فإذا هبّت الريح المريسيّة ثلاثة عشر يوماً تباعاً اشترى أهل مصر الأكفان والحنوط، وأيقنوا بالوباء القاتل، والفناء العاجل"))[10]، ومن شواهد الآثار

---

(1) المقريزي، السلوك:7/ 176، 177.
(2) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 437؛ الملطي، نيل الامل:4/ 268.
(3) المقريزي، السلوك:7/ 349؛ 358؛ الملطي، نيل الامل:5/ 22، 7/ 156.
(4) ابن تغري بردي، النجوم:10/ 208.
(5) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 437.
(6) الزبيدي، تاج العروس:1/ 478.
(7) المقريزي، السلوك:3/ 66.
(8) المقريزي، السلوك:4/ 340؛ الملطي، نيل الامل:2/ 24.
(9) المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين (ت346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي (القاهرة: د.ت): 1/ 1/ 17.
(10) الهمداني، البلدان: ص 128.

غير الصحيّة لهذه الرياح في مصر عندما هبّت في شهر جمادى الآخرة سنة (806هـ/1403م) كانت شديدة البرودة، وذات رطوبة عالية، لدرجة أنّ الناس أحسّوا بنداوة ثيابهم، فسبّبت حدوث مرض السعال وفشوّه في القاهرة، ثمّ أعقبه وقوع أمراض الحمّى، وعند دخول فصل الشتاء الذي جاء ببرد قارص أزيد من العادة شاع فيه موت الآلاف من المصريين بأمراض البرد[1]، ثمّ استمر هبوب الرياح المريسية في شهري شوال وذي القعدة من العام نفسه بشكل عاصف، ولكن هذه المرة كانت طبيعتها موخومة ذات سموم، وحرّ شديد، مصحوبة بغيوم متراكمة رعدية قليلة المطر، أدّت إلى وقوع الأمراض الحادّة فضلاً عن الطاعون، فتتابع على إثره سقوط الموتى في مصر، ثمّ هبّت بعدها رياح شمالية بحرية باردة نوعاً ما في فصل الربيع، توقّفت عقبها الأمراض وتناقص عدد الأموات[2]، وبذلك أتّضح لنا جليّاً التقلّب الواضح في طبيعة الرياح المريسية بين البرودة والحرارة فضلاً عن رطوبتها العالية، وهو ما أسهم بشكل كبير في وقوع الأوبئة وتفشّيها بين أهالي مصر آنذاك.

وفي شهر ذي الحجة من العام (815هـ/1412م) تفشّى وباء الطاعون في القاهرة ومصر، فضلاً عن الحمّى الحادّة المحرقة التي أضرّت بالأطفال والشبّان على وجه الخصوص، ورغم أنّ الوقت كان ربيعاً، إلّا أنه كان حارّاً يابساً أزيد من العادة، تهب فيه ريح شديدة، وهو ما زاد من بأس الوباء على كاهل الناس، ممّا رفع من معدلات الوفيات بينهم آنذاك[3]، ووقع الطاعون العام أيضاً في مصر وبلاد الشام سنة (833هـ/1429م)، ولكن هذه المرّة في فصل الشتاء وزال في فصل الربيع، وعُدّ ذلك من النوادر عند المهتمّين بتتبّع الظروف المناخية إبّان وقوع الأوبئة منهم المؤرّخ القاهري ابن تغري بردي الذي عبّر عن استغرابه لوقوع هذا الطاعون في فصل الشتاء قائلاً: (("وخالف هذا الطاعون الطواعين الماضية في أمور كثيرة، منها أنه وقع في الشتاء وارتفع في فصل الربيع، وكانت الطواعين تقع في فصل الربيع وترتفع في أوائل الصيف"))[4]، وذلك يبيّن ان فصل الربيع وطبيعة مناخه كان أكثر فصول السنة يشهد يشهد وقوعاً لوباء الطاعون، ولكن هذا لا يعني أنّ الطاعون لا يقع إلّا في فصل الربيع بدليل وقوعه في السنة المذكورة في فصل الشتاء، كما تكرّر حدوث وباء الطاعون في منتصف فصل الشتاء أيضاً في بلاد الشام سنة (841هـ/1437م)، وفي أواخره انتقل إلى مصر، وكانت شدّة البرد غير المعتاد في هذا الفصل من أبرز أسباب هلاك الناس بالوباء المنتشر بينهم، وما ان خفّت درجة البرودة وارتفعت درجة الحرارة بدأ الطاعون بالتناقص، وقلّت أرقام الضحايا بشكلٍ ملحوظ[5].

وفي شهر محرم سنة (848هـ/1444م) كان الطاعون منتشراً في القاهرة، واستمر إلى شهر صفر، واعتدل الجو وأمطرت السماء مطراً خفيفاً بغير رعد، صاحبه ريح عاصف سكن في الحال، فتحدّث الناس بأن الطاعون سوف يخف، وبالفعل حصل ما تنبأوا به، فقد انحصر شيئاً فشيئاً حتّى زال تماماً في الشهر التالي أي ربيع الأول[6]، ومعنى ذلك أن الجو المناخي في القاهرة قبل إعتداله إبّان تفشّي الطاعون كان مضطرباً وله أثر مباشر في استمرار الوباء، وما إن اعتدل بدأ بالزوال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ ردّة فعل السكان تجاه اعتدال الجو أي أنهم كانوا في ترقّب واضح للظروف المناخية، وتيقّنهم بأنّ لها دوراً في وقوع الوباء واستمرار انتشاره في حال ضطربت تلك الظروف على غير المعتاد، وفي شهري صفر وربيع الأول من العام (855هـ/1451م) فتكت الأمراض الحادّة باهل مصر بسبب كثرة سقوط الثلوج فيها[7]، وعندما اجتاح الطاعون مدن مصر في السنتين (864هـ/1459م) و(873هـ/1468م) كان الفصل الذي وقع فيه في تلك السنتين شتاءً، فأثار دهشة المصريين لوقوعه في هذا الفصل، كونهم اعتادوا على حدوثه في فصل الربيع كما أسلفت[8].

اتّضح من العرض في أعلاه أن الظروف المناخية كانت واحدة من الأسباب التي أدّت إلى وقوع الأوبئة وانتشارها في مصر وبلاد الشام إبان القرون المقصودة بالبحث، وكان فصل الربيع أكثر فصول السنة لوقوع الوباء فيه لا سيما الطاعون، واعتاد السكان على ذلك وخاصة أهل مصر، كما شهد فصل الشتاء وقوع الكثير من الأمراض ومنها أمراض البرد والنزلات الحادة، فضلاً عن أثر الأجواء الحارة والجفاف والرطوبة والتقلّبات المناخية في حدوث الأوبئة حينذاك.

المبحث الرابع: طبيعة مسار انتقال الأوبئة :

وهكذا بعد أن توفّرت اسباب وعوامل وقوع الأوبئة وانتشارها في مصر وبلاد الشام، لابد من تعقّب خط مسار انتقال تلك الأوبئة بين المناطق للتعرّف على طبيعة ذلك الانتقال، والوصول إلى إجابات عدد من الأسئلة المطروحة أمام الدراسة ، منها هل كان الوباء بطبيعته ينتقل من بلد أو اقليم معيّن إلى آخر، أو من مدينة معيّنة إلى أخرى، أم أنه لا يفرّق بين الطرفين ؟، وهل كان الوباء يبدأ بالقرية ومنها إلى مركز المدينة، أم بالعكس ؟، وهل كان الوباء يبقى في المنطقة عندما ينتقل الى الاخرى، أم يخف أو يزول عنها، وإذا ما زال عنها هل يعود إليها ؟، وذلك ما سنناقشه في قادم سطور هذا المطلب، ففي شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة (817هـ/1414م) وقع

---

(1) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:2/ 260؛ الملطي، نيل الامل:3/ 104.
(2) الملطي، نيل الامل:3/ 104؛ المقريزي، السلوك:6/ 106.
(3) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:3/ 8؛ الملطي، نيل الامل:3/ 248.
(4) النجوم:15/ 156.
(5) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:4/ 70، 72، 74؛ الملطي، نيل الامل:5/ 27.
(6) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر:4/ 224؛ الملطي، نيل الامل:5/ 185، 186.
(7) ابن تغري بردي، حوادث الدهور:2/ 324.
(8) الملطي، نيل الامل: 6/ 74، 357.

الطاعون في مدينة البهنسا في الوجه القبلي جنوب مصر، ثمّ انتقل بعدها إلى الوجه البحري في الشمال حيث مصر والقاهرة[1]، وفي سنة (841هـ/1437م) بدأ الطاعون بالصعيد في الجنوب قبل مدينة مصر في الشمال وتعجّب المصريون من ذلك، وربما ذلك التعجّب يفسّر أنهم كانوا معتادين على انتشار الوباء من شمال مصر إلى جنوبها، كما حصل في وباء سنة (881هـ/1476م) الذي بدأ بالوجه البحري لمصر، ثمّ انتقل إلى وجهها القبلي، وكذلك الحال في وباء سنة (897هـ/1491م) إذ بدأ بشمال مصر قبل جنوبها[2].

أمّا مسألة تناقص الوباء أو زواله عند انتقاله إلى منطقة أخرى، فقد تأكّد حصول ذلك في بعض حالات انتقال الأوبئة، وهذا ما بيّنه ابن تغري بردي في حديثه عن طاعون مصر سنة (864هـ/1459م) قائلاً: (("فإن الطاعون كان وقع بالأرياف قبل القاهرة بمدّة، فلما أخذ الطاعون في انحطاط من الأرياف، أخذ في الزيادة بالقاهرة ومصر وضواحيها، كما هي عادة الطاعون وانتقاله من بلد إلى أخرى"))[3]، ويُفهم من هذا النص أنّ الطاعون في طبيعته يخفّ عن المنطقة التي ينتقل منها إلى منطقة أخرى، كما يظهر في النص أيضاً أن الوباء بدأ بالقرى وانتقل منها إلى المدن، وهذا منطقي من الناحية الصحّية، لأنه عادة ما تكون القرية بيئة حاضنة للأمراض أكثر من المدينة بحكم طبيعتها الريفية، وكثرة وجود الحيوانات فيها، وقلّة مراعات الإجراءات الصحّية الوقائية من قبل سكانها، وبالتالي تقع فيهم الأمراض وتنتشر بشكل أسرع، وفي طاعون مدينة القاهرة سنة (873هـ/1468م) كان في بدايته منتشراً في شمالها بشكل أكبر عن جنوبها، وفي نهايته أنعكس الأمر فقد زاد في الجنوب وقلّ في الشمال، أي عندما وقع الطاعون في شمال القاهرة زاد فيه، ثمّ خفّ عند انتقاله إلى الجنوب وبعدها زال بالكامل، وفي شهر ذي الحجة من العام (881هـ/1476م) عاد الطاعون إلى بيت المقدس ودمياط بعد أن زال عنهما، وتعجّب الناس وقتها وعُد ذلك من نوادر الأحداث، وهذا يعني أنّ الوباء في طبيعته كان إذا زال عن مكان أعتاد الناس على عدم عودته إليه بحسب التجارب التي عاشوها في زمن الأوبئة التي حلّت بهم، وإذا حصل وعاد الوباء إلى ذلك المكان فيعدُّ هذا العود من النوادر، وهو ما حصل على خلاف العادة أيضاً في طاعون مصر والقاهرة، فقد زال عنهما في شعبان سنة (897هـ/1491م) عند انتقاله إلى أرض الصعيد في الجنوب، ولكنه عاد ليضرب القاهرة بعد ستّة أشهر أي في شهر صفر من السنة التالية (898هـ/1492م)[4].

ومن طبائع مسار انتقال الوباء أنه يضرب المنطقة المجاورة لمنطقة الوباء، غير أنه حصلت فيها بعض النوادر إيضاً إذ لم يصل الوباء لبعض المناطق رغم انتشاره في سائر البقاع المجاورة لها، ومنه ما حدث في طاعون سنة (749هـ/1348م) الذي انتشر في كل أنحاء بلاد الشام والبلدان المجاورة لها إلاّ مدينة معرّة النعمان[5] وشيزر[6] وحارم[7] فلم يدخلها الطاعون[8]، وفي وباء مدينتي مصر مصر والقاهرة سنة (864هـ/1459م) بيّن زين الدين الملطي طبيعة انتقال الوباء إلى المناطق المجاورة له، وما خالف ذلك يعدُّ من غرائب الأحداث فقال بصدده: (("وكان إذا بدأ بقرية أباد غالب أهلها، هذا والتي إلى جانبها ومجاورة لها سالمة بالكلّية، ثم ينتقل إليها وهو على هذا الحال، وربّما لم يظهر ببعض القرى ولا بعض ظهور، ولم يدخلها أصلاً، وكان ذلك من نوادر الغرائب التي يتعجّب منها"))[9].

أمّا طبيعة ومسار انتقال الأوبئة بين مصر وبلاد الشام، فإنّه هناك شواهد عديدة تدل على أن الوباء حين يظهر في مصر، ينتقل بعدها مباشرة إلى بلاد الشام، والعكس صحيح، منها عندما كان الوباء متفشياً في مصر سنة (749هـ/1348م)، انتقل بعدها إلى الشام[10]، وفي سنة (764هـ/1459م) تفشّى الطاعون والأمراض الحادة في شهر جمادى الاولى في مصر والقاهرة، ثمّ انتقلت الأوبئة في شهر رمضان إلى بلاد الشام[11]، أمّا طاعون سنة (819هـ/1416م) فإنه باغت مصر في شهر محرّم، وعند تناقصه فيها انتقل إلى الشام في ربيع الأول[12]، وفي طاعون سنة (841هـ/1437م) بدأ ببلاد الشام ثمّ اتصل بعدها بالديار المصرية[1]، وفي شهر شوال سنة

(**1**) المقريزي، السلوك:6/ 383؛ الملطي، نيل الامل:3/ 276.
(**2**) الملطي، نيل الامل: 5/ 19، 7/ 170، 173؛ ابن إيّاس، بدائع الزهور: 3/ 287، 289، 292، 294.
(**3**) النجوم:16/ 139.
(**4**) الملطي، نيل الامل:6/ 363؛ 7/ 177؛ ابن إيّاس، بدائع الزهور: 3/ 287، 289، 292، 294.
(5) معرة النعمان: هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، ينظر: ياقوت ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 156.
(6) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعدّ في كورة حمص وهي قديمة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 383.
(7) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 205 .
(**8**) المقريزي، السلوك:4/ 82؛ ابن تغري بردي، النجوم:10/ 197؛ خلف، فضيلة حسن، دور المدن الايطالية التجارية في تفشي جائحة الموت الاسود في حوض البحر الابيض المتوسط "748ه-751ه/1347م-1351م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، مج 13، عدد 2/52، (ايلول 2022): ص 268 .

(**9**) نيل الامل:6/ 75.
(**10**) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:2/ 339؛ المقريزي، السلوك:4/ 80.
(**11**) ابن كثير، البداية والنهاية:14/ 301؛ المقريزي، السلوك:4/ 267؛ ابن تغري بردي، النجوم:11/ 17.
(**12**) المقريزي، السلوك:6/ 411، 412.

(861هـ/1456م) عندما عاد الجنود المصريون من الرملة في الشام، مات منهم عدد كبير في طريق العودة بوباء أصابهم في تلك المدينة[2]، ومن هذه الحادثة يمكن أن نستوضح عدّة أمور تؤدي بنا إلى سبب تكرار انتقال الأوبئة ما بين مصر وبلاد الشام، فإن هذين البلدين كانا كالبلد الواحد لا تفصلهما حدود سياسية، بل كانا يمثلان جبهة واحدة في عهد الدول التي حكمتهما كالدولة الفاطمية، والنورية، والأيوبية، والمملوكية، أي يربطهما نظام ديني، سياسي، إداري، اقتصادي، اجتماعي، علمي، جغرافي واحد إبّان حكم تلك الدول، وبالتالي من الطبيعي أن يشهد هذان البلدان تواصلاً ورحلات فيما بينهما، ومنها على سبيل المثال وجود الجنود المصريين في مدينة الرملة في أثناء الحملة العسكرية التي تواجدت هناك كما مرّ بنا، وإصابة عدد كبير منهم بوباء انتشر في تلك المنطقة، وبدون أدنى شك سيؤدي مثل هكذا أمر إلى انتقال ذلك الوباء إلى مصر عند عودة الجنود الباقين إليها، ومن الشواهد الأخرى التي تؤكّد طبيعة نتقال الأوبئة بشكل متكرّر بين مصر والشام ما حصل في طاعون سنة (864هـ/1459م) الذي اجتاح غزّة في شهر محرم، يقول المؤرّخ زين الدين الملطي: (("وفيه ورد الخبر بأنّ غزّة بها طاعون فاش فأرجف بأن سيكون بمصر"))[3]، أي أن المصريين كانوا معتادين على انتقال الوباء إليهم إذا ما وقع في الديار الشاميّة، فأصابهم الخوف عندما سمعوا بوقوعه في غزّة خشية من تحوّله إليهم، وبالفعل حصل ما كانوا يخشونه، إذ دخل الطاعون ظواحي القاهرة في شهر ربيع الآخر، أي بعد ثلاثة أشهر من ظهوره في غزّة[4].

وبناءً على ما تقدّم يمكن أن نصل إلى سبب آخر من أسباب وقوع الأوبئة في بلاد الشام ومصر، مضافاً إلى الأسباب الصحيّة والمناخية التي سلف ذكرها، وهذا السبب هو انتقال الوباء من البلد المجاور، أو المنطقة المجاورة، نتيجة طبيعة الوباء وعدوى انتقاله، وهذا الانتقال يحصل بسبب التواصل او التنقل الدائم ما بين البلدان، والمدن، والقرى.

الخاتمة:

وفي خاتمة البحث توصّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

01 فسّر العلماء المسلمون على اختلاف علومهم مصطلح الوباء تفسيراً علمياً صحيحاً في شموليته للأمراض كافة التي تعم أو تتفشى بين الناس.

02 بلغ مجموع الأوبئة التي وقعت في مصر وبلاد الشام في المدّة مدار البحث (146) وباءً، إذ اجتاح العدد الأكبر منها مصر بواقع (91) وباءً، أي بنسبة (62%) من مجموع الأوبئة، وبلاد الشام (55) وباءً، أي بنسبة (38%)، من مجموع الأوبئة، وهو دليل على أن مصر تمتلك من العوامل المسبّبة لوقوع وانتشار الأوبئة أكثر من بلاد الشام.

03 تباينت اعداد ونسب الاوبئة التي وقعت في مصر وبلاد الشام في القرون مدار البحث، إذ سجّل القرن التاسع الهجري أكثر القرون انتشاراً للأوبئة، إذ بلغ عدد الأوبئة التي وقعت فيه (70) وباءً، أي بنسبة (47.9%) من مجموع الأوبئة، ويليه القرن الثامن الهجري بعدد (44) وباءً أي بنسبة (33.1%)، أمّا نسبة مجموع بقيّة القرون فإنّها تشكل نحو (21.9%) من المجموع الكلّي للأوبئة .

04 شكل وباء الطاعون أكثر الأوبئة التي انتشرت في مصر وبلاد الشام إبّان القرون محور التقصّي، إذ بلع عدد الطواعين التي وقعت آنذاك نحو (72) طاعوناً من مجموع الأوبئة، علماً أن المصادر التاريخية كانت عادة ما تطلق تسمية وباء على مرض الطاعون، فبلغ عدد الأوبئة التي ذكرها المؤرخون (28) وباءً، ومرجّح أن معظمها هي مرض الطاعون أيضاً، أمّا الأوبئة الأخرى التي انتشرت وقتذاك فهي الحميّات، والأمراض الحادة، والسعال، والنزلات، والجدري، فضلاً عن بقيّة الأوبئة التي لم تشخّصها المصادر التاريخية، واكتفت بذكر تسمية (الأمراض) عليها دون تحديدها.

05 إن مدن الوجه البحري لمصر وهي المدن الممتدة شمال مدينة مصر صعوداً نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط أكثر المدن عُرضة للأوبئة، مقارنة بمدن الوجه القبلي الممتدة جنوب مدينة مصر بإتجاه السودان أي أراضي الصعيد، فقد شكّلت نسبة الأوبئة التي اجتاحت مدن الوجه البحري مع استثناء مدينة مصر منها قرابة (84%)، بينما سجلت نسبة أوبئة الوجه القبلي (16%)، وكانت مدينة القاهرة أكثر المدن التي تعرّضت للأوبئة في القرون مدار البحث بما يقارب (49) وباءً، وتلتها مدينة مصر بمايقارب (25) وباءً، ثمّ بقية المدن المصرية.

06 كانت مدينة دمشق أكثر مدن الشام شهدت وقوعاً للأوبئة، إذ بلغ عددها (24) وباءً، وبعدها حلب إذ اجتاحها مايقارب (21) وباءً، ثمّ القدس، وحماه، طرابلس، وصفد، وحمص، وهذا من غير الأوبئة العامة التي ضربت سائر مدن الشام.

07 كانت الأسباب الصحيّة كتلوث الهواء، والماء، وانتشار الأغذية غير الصحيّة، هي الأسباب المباشرة لوقوع الأوبئة وانتشارها في مصر وبلاد الشام.

08 تعد الحروب التي وقعت في مصر وبلاد الشام من الاسباب غير المباشرة لوقوع وانتشار الأوبئة هناك، لما خلّفته من أعداد كبيرة من الجثث المنتشرة في العراء فأسهمت في تلوّث الهواء الموبوء، فضلاً عن التعامل غير الصحّي مع جثث الحروب كتركها دون

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات:9/ 346.

(2) ابن تغري بردي، النجوم:16/ 110؛ الملطي، نيل الامل:6/ 22.

(3) نيل الامل: 6/ 70.

(4) ابن تغري بردي، النجوم:16/ 136.

دفن، أو دفنها بطرائق غير صحيّة أسهم ذلك أيضاً في وقوع وانتشار الأوبئة.

09 إن المياه الملوّثة واحدة من أهم الأسباب المحدثة للأوبئة، وكذلك انتشارها، وتعدّدت مصادر تلوّث المياه في مصر وبلاد الشام آنذاك، منها إلقاء جثث ضحايا المجاعات والأوبئة في الأنهار، أو رمي النفايات في قنوات مياه الشرب، فكان ذلك سبباً مباشراً في وقوع وانتشار الأوبئة في كلا البلدين.

010 من الأسباب غير المباشرة لوقوع الأوبئة هو انتشار القوارض والمجاعة، أمّا الأولى فكانت من ملوّثات الأطعمة، في حين أجبرت الثانية الناس على أكل أي طعام وإن كان غير صحّي، وفي كلتا الحالتين يحدث الوباء وينتشر.

011 إن تقلّبات الظروف المناخية كانت واحدة من الأسباب المباشرة لوقوع الأوبئة وانتشارها في مصر والشام، وكان فصل الربيع أكثر فصول السنة تقع فيه الأوبئة لا سيما وباء الطاعون، واعتاد السكان على ذلك وخاصة أهل مصر، كما شهد فصل الشتاء وقوع الكثير من الأمراض ومنها أمراض البرد والنزلات الحادة، فضلاً عن أثر الأجواء الحارة والجفاف والرطوبة في حدوث الأوبئة حينذاك.

012 بحكم طبيعة انتقال الوباء أعتاد السكان ومنهم المصريون على أن الوباء يخف ويزول من المنطقة عندما ينتقل إلى المنطقة المجاورة، وإذا ارتفع منها لا يعود إليها، وما يحصل خلاف العادة يُعدُّ من النوادر.

013 عادة ما تقع الأوبئة في القرى قبل المدن بسبب واقعها الصحي المتردّي، وكثرة انتشار الحيوانات فيها، وقلّة الوعي الصحّي لدى أهلها.

014 إنّ التواصل أو التنقّل الدائم ما بين البلدان، والمدن، والقرى أيّام وقوع الأوبئة، أحد أهم الأسباب المباشرة في انتقالها فيما بين تلك الأطراف.

Sources and references:

First: Sources:

1. Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam al-Shaybani al-Jazari (d. 630 AH/1232 AD). Al-Kamil fi al-Tarikh. Edited by: Omar Abd al-Salam Tadmuri. dar alkitaab alarabi . Beirut: 1997 AD.
2. Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad bin Abdullah Al-Hasani (d. 560 AH / 1164 AD). nuzhat almushtaq fi akhtiraq alafaq . alam alkutab . Beirut: 1988 AD.
3. Al-Asbahani, Imad al-Din Muhammad bin Muhammad al-Katib (d. 597 AH/1200 AD). Al-Barq al-Shami. Edited by: Faleh Hussein. Abdul Hameed Shoman Foundation. Amman: 1987 AD.
4. Ibn Abi Usaybah, Muwaffaq al-Din Ahmad bin al-Qasim al-Khazraji (d. 668 AH/1269 AD). euyun al'anba' fi tabaqat al'atiba. Edited by: Nizar Reda, dar maktabat alhayat. Beirut: no.d.
5. Ibn Anas, Malik bin Anas Al-Asbahi (d. 179 AH / 795 AD). Muwatta Malik. Edited by: Muhammad Fouad Abdel Baqi. dar 'iihya' alturath alarabi. Beirut: 1985 AD.
6. Ibn Iyas, Muhammad bin Ahmed (d. 930 AH / 1523 AD). badayie alzuhur fi waqayie aldihur. Edited by: Muhammad Mustafa. dar ahya' alkutub alarabia. No. p: no. d.
7. Ibn Aydmar, Muhammad bin Aydmar Al-Mustasimi (d. 710 AH / 1310 AD). aldur alfarid wabayt alqasid. Edited by: Kamel Salman Al-Jubouri. dar alkutub aleilmia. Beirut: 2015 AD.
8. Al-Baji, Suleiman bin Khalaf Al-Tajibi Al-Qurtubi (d. 474 AH / 1081 AD). almuntaqaa sharh almawta'i. alsaeada Press. Egypt: 1913 AD.
9. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail al-Jaafi (d. 256 AH/820 AD). altaarikh alkabir. Ottoman Encyclopedia. Hyderabad: no.d.
10. Ibn Battuta, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Lawati Al-Tanji (d. 779 AH / 1377 AD). tuhfat alnazaar fi gharayib al'amsar waeajayib al'asfar known as rihlat aibn batuta. Academy of the Kingdom of Morocco. Rabat: 1996 AD.
11. Al-Bakri, Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad Al-Andalusi (d. 487 AH / 1094 AD). almasalik walmamalika. dar algharb al'islami. No. p.: 1992 AD.
12. Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya (d. 279 AH / 892 AD). fatuh albildan. Al-Hilal Library.

Beirut: 1988 AD.
13. Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Yusuf bin Taghri Bardi bin Abdullah al-Dhahiri (d. 874 AH/1469 AD), hawadith alduhur fi madaa al'ayaam walshuhur. Edited by: Muhammad Kamal al-Din Ezz al-Din. alam alkutub. No. p.: 1990 AD.
14. Ibn Taghri Bardi, alnujum alzaahirat fi muluk misr walqahira. Ministry of Culture and National Guidance. Dar Al-Kutub, Egypt: no.d.
15. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali (d. 597 AH/1200 AD). almuntazim fi tarikh al'umam walmuluk. Edited by: Muhammad Abdel Qader Atta. And Mustafa Abdel Qader Atta. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: 1992 AD.
16. Al-Hakim, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Naysaburi (d. 405 AH / 1014 AD). almustadrik ala alsahihayn. Edited by: Mustafa Abdel Qader Atta. dar alkutub alailmia. Beirut: 1990 AD.
17. Ibn Hajar Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmad bin Ali (d. 852 AH / 1448 AD), iinba' alghamar bi'abna' aleumr. Edited by: Hassan Habashi. Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage. Egypt: 1969 AD.
18. Ibn Hajar Al-Asqalani, aldarar alkaminat fi 'aeyan almiayat althaamina. Edited by: Muhammad Abdel Moeed Dhan. 2nd ed. Council of the Ottoman Encyclopedia. Hyderabad: 1972 AD.
19. Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal Al-Shaybani (d. 241 AH/855 AD). musnid al'iimam 'ahmad bin hanbal. Edited by: Shuaib Al-Arnaout et al. Al-Resala Foundation. No.p.: 2001 AD.
20. Ibn Hawqal, Abu al-Qasim, Muhammad bin Hawqal al-Baghdadi al-Mawsili (died after 367 AH/977 AD). surat al'ard. Dar Sader. Beirut: 1938 AD.
21. Ibn Khayat, Abu Amr Khalifa bin Khayyat Al-Shaybani (d. 240 AH/854 AD), tarikh khalifat bin khayaat. Edited by: Akram Diaa Al-Omari. 2nd ed. Dar Al-Qalam, Al-Resala Foundation. Damascus. Beirut: 1976 AD.
22. Ibn Khayyat, altabaqat, Edited by: Suhail Zakkar. Dar alfikr for printing, publishing and distribution . no.p.: 1993AD.
23. Abu Dharr, Muwaffaq al-Din Ahmad bin Ibrahim, the son of Ibn al-Ajami (d. 884 AH/1479 AD). kunuz aldhahab fi tarikh halba. dar alqalam. Aleppo: 1996 AD.
24. Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (d. 748 AH / 1347 AD), tarikh al'iislam wawafyat almashahir walaelam. Edited by: Bashar Awad Marouf. Dar Al-Gharb Al-Islami, no.p.: 2003 AD.
25. Al-Dhahabi, aleabar fi khabar min ghabr. Edited by: Abu Hajar Muhammad Al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: no.d.
26. Al-Rab'i, Abu Suleiman Muhammad bin Abdullah (d. 379 AH / 989 AD). tarikh mawlid aleulama' wawafayatihim. Edited by: Abdullah Ahmed Suleiman Al-Hamad. dar aleasima. Riyadh: 1989 AD.
27. Al-Zubaidi, Abu Al-Fayd Muhammad bin Muhammad Al-Husseini (d. 1205 AH / 1790 AD), taj alearus min jawahir alqamusa. Edited by: Mustafa Hegazy and others. Dar Al-Hidaya, no.p.: no.d.
28. The descendant of Ibn al-Jawzi, Shams al-Din Abu al-Muzaffar Yusuf bin Qazughli (d. 654 AH/1265 AD). murat alzaman fi tawarikh al'aeyan. Edited by: Fadi Al-Maghribi and others. dar alrisalat alealamia, Damascus: 2013 AD.

29. Al-Subki, Taj al-Din Abd al-Wahhab bin Ali (d. 771 AH/1369 AD). tabaqat alshaafieiat alkubraa. edited by: Mahmoud Muhammad al-Tanahi. And Abdel Fattah Mohammed Al-Helou. 2nd ed. Hajir Printing, Publishing and Distribution. No.p.: 1992 AD.
30. Al-Sakhawi, Shams al-Din Abu al-Khair Muhammad bin Abdul Rahman (d. 902 AH/1496 AD). aldaw' allaamie li'ahl alqarn altaasi'. dar maktabat alhayat. Beirut: no.d.
31. Ibn Saad, Abu Abdullah Muhammad bin Saad bin Muni' Al-Basri (d. 230 AH / 844 AD). altabaqat alkubra. edited by: Ihsan Abbas. Dar Sader. Beirut: 1968 AD.
32. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr (d. 911 AH/1505 AD). hasan almuhadarat fi tarikh misr walqahira. edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. dar 'iihya' alkutub alearabia. Egypt: 1967 AD.
33. Ibn Tulun, Shams al-Din Muhammad bin Ali al-Salhi (d. 953 AH/1546 AD). mufakahat alkhulan fi hawadith alzaman. edited by: Khalil Al-Mansour. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: 1998 AD.
34. Ibn Abd al-Haqq, Safi al-Din Abd al-Mu'min bin Abd al-Haqq al-Quta'i al-Baghdadi al-Hanbali (739 AH/1338 AD). marasid aliatilae ealaa 'asma' al'amkinat walbiqa. dar aljil. Beirut: 1991 AD.
35. Ibn Al-Adim, Kamal Al-Din Omar bin Ahmed Al-Uqaili (d. 660 AH / 1261 AD). zubdat alhalab fi tarikh halab. edited by: Khalil Al-Mansour. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: 1996 AD.
36. Ibn al-Imad al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad (d. 1089 AH/1678 AD). shadharat aldhahab fi 'akhbar min dhahab. edited by: Mahmoud Al-Arnaout. Dar Ibn Katheer, Damascus. Beirut: 1986 AD.
37. Al-Ghazi, Najm al-Din Muhammad bin Muhammad (d. 1061 AH/1650 AD). alkawakib alsaayirat bi'aeyan almiat aleashira. edited by: Khalil Al-Mansour. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: 1997 AD.
38. Ibn al-Qalanisi, Hamza bin Asad al-Tamimi (d. 555 AH/1160 AD). tarikh dimashq. edited by: Suhail Zakkar. Dar Hassan for Printing and Publishing. Damascus: 1983 AD.
39. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Din Muhammad bin Abi Bakr (d. 751 AH/1350 AD). zad almuead fi hady khayr aleabad. 27th edition. Al-Resala Foundation. Beirut: 1994 AD.
40. Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad al-Basri (d. 170 AH/786 AD). alayn. edited by: Mahdi Al-Makhzoumi. And Ibrahim Al-Samarrai. Al-Hilal and Library, no.p.: no.d.
41. Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad al-Hamdani (d. 365 AH/975 AD). albaldan. edited by: Youssef Al-Hadi. alam alkutub. Beirut: 1996 AD.
42. Al-Kutbi, Saladin, Muhammad bin Shaker (d. 764 AH / 1362 AD). Fawat alwafyat. edited by: Ihsan Abbas. Dar Sader. Beirut: 1974 AD.
43. Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi (d. 774 AH / 1372 AD). albidayat walnihaya. Dar Al-Fikr. No.p.: 1986 AD.
44. Al-Kindi, Abu Omar Muhammad bin Yusuf Al-Masry (died after 355 AH/965 AD). kitab alwulaat wakitab alqudaat. edited by: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail. And Ahmed Farid Al-Mazidi. dar alkutub aleilmia. Beirut: 2003 AD.
45. Al-Masoudi, Abu Al-Hasan Ali bin Al-Hussein (d. 346 AH / 957 AD). altanbih wal'iishraf. edited by: Abdullah Ismail Al-Sawy. Dar Al-Sawy. Cairo: no.d.
46. Muslim bin Al-Hajjaj, Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (d. 261 AH / 874 AD). Sahih Muslim. edited by: Muhammad Fouad Abdel Baqi. dar 'iihya' alturath alearabi. Beirut:

no.d.

47. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad bin Ali al-Husseini (d. 845 AH/1441 AD), alsuluk limaerifat dual almuluk. edited by: Muhammad Abdel Qader Atta. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut: 1997 AD.
48. Al-Maqrizi, almawaeiz waliaetibar bidhikr alkhutat waluathar. dar alkutub aleilmia. Beirut: 1997 AD.
49. Ibn Muflih, Burhan al-Din Ibrahim bin Muhammad (d. 884 AH/1479 AD). almaqsid al'arshid fi dhikr 'ashab al'iimam Ahmad. edited by: Abdul Rahman bin Suleiman Al-Othaimeen. Al Rushd Library. Riyadh: 1990 AD.
50. Al-Malti, Zain al-Din Abd al-Basit ibn Abi al-Safa al-Zahiri (d. 920 AH/1514 AD). nail al'amal fi dhayl alduwal. edited by: Omar Abdel Salam Tadmurri. Modern Library for Printing and Publishing. Beirut: 2002 AD.
51. Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Makram al-Ansari (d. 711 AH/1311 AD), mukhtasar tarikh dimashq liabn easakr. edited by: Spirituality of Copper. et al. Dar Al-Fikr for printing, distribution and publishing. Damascus: 1984 AD.
52. Ibn Manzur, Lisan al-Arab. 3rd edition. Dar Sader. Beirut: 1993 AD.
53. Ibn al-Wardi, Zain al-Din Omar bin Muzaffar al-Maarri (d. 749 AH/1348 AD). tarikh abn alwardii. dar alkutub aleilmia. Beirut: 1996 AD.
54. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah bin Abdullah al-Rumi (d. 626 AH/1228 AD muejam albildan. 2nd ed. Dar Sader. Beirut: 1995 AD.
55. Al-Yonini, Qutb al-Din Abu al-Fath Musa bin Muhammad (d. 726 AH/1325 AD). dhayl murat alzaman. 2nd ed. Dar Al-Kitab Al-Islami. Cairo: 1992 AD.

Second: references:

56. Al-Zirakli, Khair al-Din bin Mahmoud al-Dimashqi. ala'lam. 15th edition. Dar Al-Ilm Lil-Malayin, no.p.: 2002 AD.
57. Al-Kandahlawi, Muhammad Yusuf, hayaat alsahaba. edited by: Bashar Awad Marouf. Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution. Beirut: 1999 AD.

Third: Research and articles:

58. Khalaf, Fadhilah Hassan. The role of Italian commercial cities in the spread of the Black Death pandemic in the Mediterranean basin (748 AH-751 AH/1347 AD-1351 AD). Journal of Historical and Cultural Studies. Tikrit University. Volume 13. Issue 52/2. September: 2022 AD.
59. Awad, Riad Salim, epidemics and their religious and psychological effects on society in Egypt and the Levant from the fifth century until the tenth century AH, a historical study. Diyala Journal for Humanitarian Research. College of Education for Human Sciences. Diyala AD .
60. Fadhel, Naseer Bahjat, The Plagues in Early Islam and the Umayyad Caliphate “A Study in Arab and Islamic Sources. Kirkuk University Journal for Humanistic Studies. College of Education for the Human Sciences. Kirkuk University. Volume 6. Issue 2. 2011 AD.

Fourth: Theses and dissertations:

61. Awad, Riad Salim, The cultural aspects of Damascus in the sixth and seventh centuries AH through the book Al-Daris fi Tarikh Al-Madaras by Al-Naimi (d. 927 AH / 1520 AD). Faculty of Education. Tikrit University. Iraq: 2013 AD.